آكر

رواية

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: آكر
اســـم المـؤلف: عبد الرحيم بن المبارك
التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــداع: 26401 / 2024

الترقيـم الدولي: 8 - 048 - 971 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: د. هبـة ماردين
تـصـميـم الغلاف: هبة إبراهيم
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201030502390
dewanalarabegypt@gmail.com

آكر

رواية

عبد الرحيم بن المبارك

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء إلى :

بائع الشاي أبي رحمه الله..
ربة البيت الفاضلة أمي حفظها الله..
أختي أمينة وخالي حسن رحمهما الله..
أخي وأخواتي ..
شهاب وحسن، إلى زينب وعمر ..
كل من أسدى لي نصيحة، أو دعا الله لي..
من أحبني صادقا..
من ساندني..

شكر خاص للصديق الحسن أوبلا على تيسيره سبل طبع هذا العمل، فجزاه الله عني خيرا.

عبد الرحيم بن المبارك

"في عصرنا الحالي تتبارى الجرائد والإعلانات والتلفزيون والسينما في أمر واحد، هو أخذ الإنسان من نفسه وشغله عنها"

مصطفى محمود

ها هي الشمس كما وعدتك قد أشرقت..

- سليم، قم لماذا ترقد على الأرض؟

- عالم الكواليس سيرجع كما كان وأقوى.

- ما بك سليم، هل تسمعني، سليم، سليم..

أخذت في تحريكه، لكنه لم يجبها، خافت فرفعت صوتها أكثر.

فتح عينيه وما يرى إلا الضباب، وبعد برهة بدأت الصورة تتضح، قام من مكانه بسرعة ذاهلاً.

- أمي، ماذا تفعلين هنا؟ ومن الذي أتى بك؟

- اهدأ، لا شك أنك قد تهت في حلم طويل.

نظر نحو التلفاز، وإلى الساعة التي تشير للثامنة والنصف، قال متمتماً وقد اشتدّ عليه صداع رأسه:

- ماذا حدث في النهاية؟

- دخلت فوجدت المشهد الأخير، لقد ماتت البطلة في النهاية.

- لا.. لم تمت، لقد أنقذتها إنّ ما شاهدت تمثيل فقط، أما هي فحية ترزق.

وضعت يدها على جبينه:

- ربما بك حمى جعلتك تهذي بما لا تعقل، فهل هناك من يظن أنّها ماتت فعلاً؟

- لقد كادت تموت لولا أنّني تداركت الأمر، فمثلنا مشهدها الأخير، لكيلا يغدر بها زعيم "ونب نويهص ديفيد".

مرّرت أمه يدها على شعره برفق:

- إنّه حلم ليس إلا، أحياناً قد نعتقد أنّ ما رأينا في منامنا قد حدث فعلاً، فهذا مرتبط بما تفكر به في يقظتك، وأنت بُني تهوى الأفلام والمسلسلات والقصص، لذلك قد علِق شيءٌ منها في ذهنك، وانتقل إلى حلمك.

أجابها وهو شارد الذهن:

- هل فعلاً كل ما مررت به هو مجرد حلم!

- اهدأ الآن، ولا تنسَ قراءة القرآن ليرتاح بالك.

- حسناً أمي سأحاول .

اتجهت نحو الباب، وبعدها التفتت نحو سليم:

- سأنادي عليك حين يجهز العشاء، وإن كنت نائماً سأوقظك.

لا يزال في شروده:

- حسناً.

غادرت غرفته، والتحقت بأبيه وأخيه فأخبرتهما بالأمر.

- هذا ما خفت منه، أن يودع واقعه ويتعمق في تخيل ما يسهر معه.

تفاجؤوا برؤيته نازلاً من الدرج، تقدم إلى أن توسط الصالون:

- لم لا تصدقونني، انتقلت من عالمي لعالم الكواليس، لقد أتتني إليل من هناك، أرجوكم لا تعتقدوا أنّه حلم أو خيال، كان ذلك حقيقة.

قام الأب إلى أنْ شدَّ يده بقوة:

- اهدأ الآن كأنّ شيئاً لم يحدث، وحاول نسيان الموضوع.

أفلت سليم من يد أبيه، صعد لغرفته مغلقاً الباب.

استلقى على سريره غير آبهٍ بما سمع من أسرته، لا يزال عقله حبيساً لما رأى، تمر صورة إليل أمامه، وكشيم وديفيد، ويمار وريمس، كل أهالي آكر، هوكو إيند سرون، أكيرما بؤساء "ونب نويهص"، كل ذلك كأنه شريط تتسارع أحداثه في ذهنه حتى أرهقه التفكير، فغطّ في نومٍ عميقٍ.

استيقظ على طرق الباب ونداء أمه:

- سليم إنّها السابعة صباحاً ستفوتك المحاضرة بالكلية.

- حاضر أمي سأنهض حالاً.

توضأ وصلى، نزل فوجد أسرته مجتمعة على المائدة كالعادة تنتظر التحاقه، سلّم عليهم دون أن يقبّل يد أمه وأبيه، ويشد شعر أخيه مازحاً كالمعتاد، ودعهم مغادراً صوب الكلية.

طول الطريق يفكر بعالم الكواليس، لم يشعر حتى وجد نفسه بالكلية، انتهت المحاضرة ولم يدوّن شيئاً منها.

قصد بعد الكلية الحديقة، جلس وحده طويلاً، وبعدها غادرها متجهاً إلى المنزل دون أن يشتري قنينات العصير ورقائق البطاطس لليلته.

ولج المنزل، مباشرة صعد إلى غرفته بعد أن سلّم على أمه.

- ما هو الحلم؟ سؤال لم أفكر في طرحه يوماً، كأنّني أملك بعضاً من الإجابة لما سافرت إليه، أو لربما ما كان بداخلي قد فرّ مني ليحيي ما يريد، عالم تسوده الأخلاق والقيم، أناسٌ يعيشون لغيرهم، يفكرون في تقدم الإنسانية ورقيها بكلّ ما أوتوا من قوةٍ، يفدون مشروعهم بحياتهم ولا يهمهم ما فقدوا ولا ما سيفقدون، عالم الصورة من سيطر عليه حكم، ومن استهان به هلك، هذه هي المرة الأولى التي أتمنى أمنية فيها العجب، يا ليتني عشت حياتين، حياة هناك أمدُّ يد العون لأولئك الشرفاء في آكر، وحياة هنا أرى ما يبذلون من جهد على الشاشة.

تذكر:

- لكنّني متُّ، أصابتني رصاصة لم أعرف مصدرها! يا لي من أحمق هو حلم ليس إلا، لكن ما يحيرني كيف أنّني أذكره بتفاصيله، عادة كنت أنسى ما رأيت في المنام بعد ساعة أو ساعتين أو حتى ثلاث، فلم هذا الحلم يعلق بذهني هكذا؟! ولم أشعر بكل من التقيت فيه كأنه لا يزال معي؟! إنني حائر ولم أجد لحيرتي حلاً.

كإلكترون أسرته النواة يحوم حولها لا ينفك عنها، استحوذ الحلم على حياته.

فكرت أسرته بأن يزور طبيباً نفسياً لعلّه يساعده على تجاوز أزمته ويخرجه من إقبال البؤس على ما تبقّى في حياته، لكنّه رفض بدعوى أنّه لا يحتاجه.

- لن أزور الطبيب، وعدتكم أنّي لن أشاهد التلفاز بالمرة، ولن أستعمل حاسوبي، ووفيت بوعدي.

قاطعه الأب:

- لكنّك لم تعد سليم الذي نعرف، الشاب البشوش الذي يضفي روحاً طيبة في المنزل وخارجه، أصبحت مهموماً عابساً في أغلب الأوقات إلا من ضحكاتك السطحية، وأساتذتك في الجامعة أيضاً أحسوا بتغيرك، كنت من المتفوقين وهذه السنة نجحت بنقط متوسطة، اسمع يا بُني في الحياة عثرات نجاح وإخفاق، قد يخرج قطارنا عن السكة ويلزمنا بذل وسعنا لإعادته ما دام قريباً منها، أما قطارك فبدأ يبتعد كثيراً عن سكته، أرجعه يا سليم، أرجعه في أقرب وقت.

كأنه صحا من سبات طويل وعميق، كأنه أبصر بعد طول عمى لازمه، حمّلق كثيراً في والديه محدثاً نفسه: "لا بد أن أستيقظ من ذاك الحلم، لن أدعه يفقدني أعزّ ما أملك، نعم لا زلت أذكر لما قلت لإليل في حلمي أنني أريد البقاء قرب والدي وأخي، وأريد إكمال دراستي، ولما جلست وحيداً وكلي شوق لأسرتي وإيقاظ أمي لي كل صباح، مرت سنة من عمري ولن أضيع قابل السنوات، الماضي في الذاكرة سيظل معي يطل على مستقبلي، لكن دون

أن أكون حبيس قضبانه، ولو أنه حلم لم أرَ مثله من قبل، ولو أني أراه كل يوم في مخيلتي إلا أنه أولاً وأخيراً مجرد حلم".

فتح ذراعيه كأنّ بابه الذي بقي مغلقاً طول تلك السنة قد كسرت أقفاله، عانق والديه بشدة طالباً منهما الصفح على ما بدر منه، وطبيعة الرحمة في الأبوة والأمومة لا تنفد، ولو أنّ الألم قد اعتصرهما وهما يريان ابنهما حزيناً طول الوقت إلا أنهما نسيا كل ألم بعد انفراج أساريره وعودته لطبيعته، فقد انفك الإلكترون عن النواة.

....

تخرّج سليم من الكلية في العام الموالي، حصل على الإجازة في الأدب العربي، بمجرد ما دخل للمنزل هرعوا نحوه.

- كنا في انتظارك أخي.

- أعلم، لكن اطمئنوا، حمداً لله نجحت.

أطلقت والدته الزغاريد، أسرعت بعدها لتخبر كل معارفها، فقال والده:

- أفرحتنا يا سليم، نرجو من الله أن يعينك فيما هو قادم، هل فكرت فيما تنوي فعله بعد الإجازة؟

- لا ليس بعد، سأتمهل قليلاً حتى يتسنّى لي اتخاذ القرار المناسب.

- مبارك نجاحك أخي.

شدّ شعر أخيه برفق كما اعتاد:

- شكراً أخي، أسأل الله أن يعينك أيضاً في مشوارك الدراسي.

- سليم اليوم سنسهر معك سهرتك، انظر لقد أحضرت رقائق البطاطس وقنينات العصير لنا جميعاً.

راوده ذاك الشعور القديم، واعتلته تلك الحماسة، وعاوده ذاك الحلم الذي حبسه في ذاكرته لكيلا يظهر من جديد، ولو أنه لم يتغلب عليه كلياً "لن أفسد عليهم الفرحة، ودعت مشاهدة التلفاز، فكلما نظرت نحوها ذكرتني بعالم الكواليس، أخرجتها من غرفتي كي أستريح من ذاك الماضي.. لكن لأكُنْ صريحاً مع نفسي أنا الآن أتحجج فقط بهذا العذر لأعود لعادتي القديمة، سأسهر مع أسرتي ليس فقط لئلا أفسد فرحتهم، بل لأنني أريد ذلك".

بعد صلاة العشاء عاد سليم للمنزل، جلس في الصالون هذه المرة مع أسرته وليس وحيداً في غرفته، غمرته فرحة غير عادية وهو ينظر لنفسه مع من اعتزل عنهم، مفضلاً الوحدة.

" الليلة ليست كباقي الليالي، إنها النهاية، ووحده صاحب الإرادة لن يسمح بإسدال الستار"

ليلى تلقت دعوة من شخص مجهول إلى فندق خمس نجوم، وصلتها رسالة تخبرها بأن من ستلتقيه هناك يملك الحل لما ينغّص عيشتها، وسيقرضها المال الذي تحتاجه لإجراء العملية باهضة الثمن التي تحتاجها والدتها.

غادرت ليلى عملها باكراً من الصحيفة، بعد أن سلّمت الملف الكامل الذي سهرت على إنجازه حول الاتجار بالبشر، فقد كشفت فيه المستور، وتتبعت الموضوع تتبعاً دقيقاً كأنّها محققة بارعة.

كان عملها كصحفية يجلب لها المتاعب، فقد تلقت التهديدات مراراً وتكراراً تأمرها بالابتعاد عن الملف.

اتصلت بأمها لتطمئن على حالتها الصحية، أجابتها وأنفاسها منحبسة كالمعتاد، فأمها تعاني من ثقب في قصبتها الهوائية تلزمها عملية لحلّ مشكلة التنفس.

- كوني حذرة يا ابْنتي، فأنت أملي في هذه الحياة.

طمأنتها أنّ كل شيء على ما يرام.

تنهد سليم وهو يتابع باهتمام أطوار الحلقة.

أقفلت ليلى الخط بعد أن طلبت من أمها أن تدعو لها بالتوفيق، نظرت بعد ذلك للسماء وكلها أمل أن تجد الحل لتجري العملية لوالدتها، رغم أنها

رفضت عروضاً كثيرة كانت رشوة من بعضهم إما لتزيين صورتهم، أو الكف عن النبش في مخالفاتهم التي لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها.

وصلت للفندق، استقبلتها المضيفة مرحبة بها:

- هل من خدمة؟

- عندي حجز لغرفة هنا في الفندق.

- مرحباً، رافقيني من فضلك.

اصطحبتها المضيفة إلى مكتب الاستقبال، طلبت منها أن تريها الحجز، مدت يدها إلى حقيبتها وأعطتها إياه.

- سألتها: هل أنت من حجز الغرفة؟

- لا.. وصلني من شخص آخر، هل من مشكلة سيدتي؟

- لا، هو إجراء بسيط فحسب، لأنّ هناك بيانات تطلب منا هذا السؤال، مدت ورقة:

- وقعي هنا من فضلك، ها هو مفتاح غرفتك، سيصطحبك المرافق إلى هناك.

فتحت الباب بعد أن شكرت المرافق، أقفلته بعد دخولها، استلقت على الأريكة والتعب يسري في جسدها، نظرت إلى ساعتها فإذا هي الثامنة إلا ربع "ربع ساعة وأعرف من استدعاني؟ وهل هو جاد في إقراضي المال، أم أنه مثل أولئك الذين يريدون رشوتي مقابل الكف عن كشف حقائقهم".

أخذها التفكير في والدتها المريضة، لم تشعر حتى غفت وأخذها النعاس..

دقت الساعة، إنها الثامنة موعد قدوم من وجّه الدعوة لها، فتح أحدهم الباب.

اقترب الشخص من ليلى، كان يغطي رأسه.

وفي لمح البصر سمع أنيناً، فسكوناً، ثمّ إقفال الباب.

خفق قلب سليم خفقاً شديداً، وهام بين أحداث المسلسل الدرامي، مرّ من أمام عينيه أول ظهور للبطلة في أولى الحلقات، وهي بنت الثالثة والعشرين لما أنهت دراستها الجامعية وتخرجت من كلية الآداب، حينها نزلت من المنصة لتشارك أمها فرحة النجاح، رأى نفسه وهو جالس أمام الشاشة، وشعوره الغريب آنذاك نحو ليلى.

زاد تعلقه بها تعلقاً غير طبيعيّ، ينظر إلى حركاتها وسكناتها، يفصل في كلّ شيء تقوم به، حاسوبه مملوء بصورها، يعيد كل حلقة أكثر من خمس مرات.

بعدها أضاءت الغرفة وليلى مستلقية على الأريكة، رأسها إلى الخلف، وأنفاسها أخذت في الاختناق، بدأت تتمتم بفمها..

سقط على الأرض وأجهش في البكاء.

فجأة تنبّه، وأعاد النظر إلى الشاشة ليراقب فم ليلى وهي تتمتم، فبدأ سمعه يلتقط ما تنطق به.

"لا بد للحق أن ينتصر في أي مكان، سينجلي الظلام عمّا قريب، يا سليم أكمل المسير، لا تدع الظلم ينتصر".

ارتطمت ركبتاه على الأرض، شحب لون وجهه، الشهيق والزفير القويان قد أتعباه، أعاد النظر إليها فتكرر في أذنه مثل ما سمع، عادت أحداث الفتاة التي التقاها في السوبرماركت في الظهور، همهم: تلك الفتاة الغريبة، هل هذا ما كانت تقصد! وهل ليلى نادتني فعلاً أم أنني في هذيان!

انقطع فجأة التيار، الغرفة كلها بلا نور، وبعد برهة أنارت جدرانها بنور أحمر خافت، طاف سليم بعينيه دون أن يعي ما يحدث، بدأ النور بالتلاشي، فإذا بصوت الفتاة يكرر الرسالة التي سلمتها له في السوبرماركت "الليلة ليست كباقي الليالي، إنها النهاية ووحده صاحب الإرادة لن يسمح بإسدال الستار".

وهو في غمرة التفكير محاولاً تفسير ما يحصل، ظهرت الفتاة أمامه، صرخ طالباً الاستغاثة.

قالت: لن يسمعك أحد.

صمت برهة، وبعد أن استرجع أنفاسه قال بصوت مهموس:

- من أنت؟

- ليلى.

قال في عنفوان:

- أية ليلى أنت؟

- بطلة المسلسل، ألا تعرفني؟

- ليلى! أنت تمزحين، أنا أعرفها جيداً حتى أنك لا تشبهينها البتّة.

- ليلى من تعرف أنت، أما اسمي الحقيقي في عالمي هو إليل أيّ ليلى بالمقلوب.

- أي عالم تقصدين؟

أعرضت عنه متجهة إلى النافذة، وهو لم يشح نظره عنها، قالت: ذلك موضوع يطول شرحه، صمتت بعدها، ثمّ أكملت:

- هل تحب ليلى فعلاً؟

قال في ارتباكٍ وقد ألصق نظره بالأرض، لا أدري، لا أعلم، وبدأ الكلام يفرّ من لسانه.

اقتربت منه بضع خطوات:

- ليلى هي أنا إنها تمثل شخصيتي، لكن هل أعجبتك النهاية؟

- أية نهاية؟

- نهاية المسلسل.

خفض رأسه، قال بصوت يشوبه القلق: لا أدري، لكنّني تعلقت كثيراً بليلى، كنت أنتظر كل يوم حلقات المسلسل بفارغ الصبر، أعجبني جمالها، تحب الخير وتدافع عن المظلومين، لا تريد شيئاً من الحياة عكس باقي البشر، كل شيء عندهم بمقابل، مختلفة تماماً، لا نظير لها في الواقع، أخذ نفساً عميقاً، نظر من نافذته نحو البدر، قال: لا أدري إلى الآن سبب تعلقي الكبير بها، بالرغم من أني أعلم أن كل ذلك مجرد تمثيل، ولكنْ شيء ما بداخلي يخبرني أنّ ما أراه يحاكي الواقع، أو أنّه واقع بالفعل.

فرحت إليل، نحن في أمسّ الحاجة لك، أنت لست مشاهداً عادياً، اهتمامك بالسينما، تذوقك لها، الكثير الكثير ممن يتابع ما تصنعه "الكاميرا" لا يدرون شيئاً عنها، كلّ ما يهمهم الإثارة والتشويق، فكم من بطل مات وسالت دماؤه، وما علموا بما ضحّى في سبيل الخير، وليلى كذلك ممن عانوا الويلات.

حدّق سليم بها، ولم يعد يحس بالارتباك والهلع الأولين بعدما دار بينهما من حديث، قال بصوتٍ حازمٍ هذه المرة: ماذا تقصدين بما قلت، وأين عالمك؟

- أنا من عالم وراء الشاشة، عالم الكواليس.

- عم تتحدثين؟ لا أفهم كثيراً مما قلت، وبدت على محيا سليم علامات الاستغراب..

- ألا تعلم شيئاً عن عالم الكواليس!

- أعرف عنه الشيء الكثير، ولكن كيف تسمينه عالماً، وكلّ من بالكواليس نراه يعيش معنا عيشة عادية، المخرج، المنتج، القائمين على الملابس والوسائل اللوجيستيكية، الكتاب، والسيناريست، لكن ما لا أفهمه أنك أسميته عالماً.. وارتسم الاستغراب على وجهه من جديد...

تبسّمت قليلاً، ثمّ بدأت ضحكاتها تتعالى:

- أنتم هنا لا تعلمون شيئاً عن كيفية تسجيل ما تتفرجون عليه، ما ترونه خيالاً أو تمثيلاً أصبح واقعاً، من تراه يموت خلف شاشتك، يموت فعلاً.

لم يصدق سليم، وبدا على محياه الاستهزاء والإنكار.

- أعلم أنك لا تصدق ما قلته، حتى تزور عالمنا عالم الكواليس.

تذكر ليلى، هل ستموت هي فعلاً، بادر لسؤالها.

فاجأته: حتى أنا سأموت هناك، يعني ليلى ستموت.. ولن ترى دوراً آخر لها في نفس صفاتها التي أحببتها فيها، فهل سترضَ بذلك وتدع كل ما قامت به من أجل تحقيق العدالة ونشر الخير يذهب سدى؟

أجابها في غضب: لا أريد، ولكن ما المطلوب مني؟

- أن ترحل معي إلى عالم الكواليس.

- ولكن كيف سنسافر إلى هناك؟ وكيف سأعود إن أردت العودة؟ فبالرغم من عشقي الكبير لعالم الصورة والتمثيل، إلا أنّني لا أريد الرحيل عن هنا، فيه والداي وإخوتي، فيه أصدقائي وعليّ أن أكمل دراستي الجامعية.

- لا تخف، لن يلزمك وقت كثير، أما عن العودة فسترجع مثلما سنسافر.

قال مستسفراً: ماذا عن ليلى الآن، ومن دخل غرفتها؟

- لن تموت فما زالت ستقاوم، ولكنّ الخطر سيظلّ محيطاً بها، القرار قرارك، احسم أمرك إما أن أعود أنا لأموت، أو تأتي معي لتهبني حياة جديدة.

- تحيّر: ولكن ما بيدي لأفعله، وكيف سأنقذك؟

- ستعرف كل شيء هناك.

ابتعد عنها إلى ركنٍ في غرفته، ولا قرار بعد قد اتخذه، "ما بالك يا سليم هو مسلسل كباقي المسلسلات، لا أدري كيف صدقت رواية هذه الفتاة التي

ما يزال الغموض يلف حكايتها، ولكن ليلى ستموت، ولا أريد هذه النهاية، لا شيء ستخسره".

نظرت إليه وهي أيضاً في حيرة من أمرها، "هل سيقبل مساعدتي، علقت آمالاً كثيرة عليه، لا بد أن يقبل لا بد".

خرج من ركنه الذي آوى إليه، خطا خطوات متباطئة، فرك رأسه، وقف أمامها، قال: فلنفعلها يا ليلى.

لم تشعر حتى ضمته بقوة.

تباعدت وقد احمرت وجنتاها خجلاً، تنبّهت فوجدته ينظر إليها نظرةً غريبةً.

سليم لأول مرة يتأمل في وجهها جيداً، كان قبل ذلك متحيراً في أمرها، رأى عينيها الكحلية، ثغرها الفتان، جدائل شعرها الأسود كشلال يسيل على كتفيها، بشرتها البيضاء النضرة، وجمالها الأخاذ، لم يلحظ ذلك من قبل من أثر الصدمة.

- ما بك يا سليم هل تراجعت في قرارك؟

قال: لا أبداً، لست من يرجع في قراره، أخبريني كيف سننتقل إلى عالم الكواليس؟

مدت يدها لحقيبة كانت تحملها، قالت: بهذا، وكان مفتاحاً صغيراً يشعّ منه ضوء براق؟

- هذا المفتاح سينقلنا داخل عالم الكواليس، سيظهر أمامنا باب ذهبي على شكل لوحة " الكلاكيت"، ولن يظهر مكان وضع المفتاح حتى أكرر كلمة السر.

تعجب:

- هذا خيال لا أراه إلا في أفلام الفنتازيا.

- يجب أن تصدق وسترى كل هذا بأم عينك.

- أخذت بيده: هيا لنجلس، وما زال سليم لا يصدق.

كان يترقب في حذر كل ما يقع، رويداً رويداً بدأ يحس أنّه مخدرٌ بعينين مغمضتين، لكنّ عقله يقظ.

أمسكت يده بشدة، حتى سمع نداءَها: افتح عينيك يا سليم.

فتحها فإذا بالباب الذي وصفته أمامهما، باب ضخم يلمع كلوحة "الكلاكيت".

اقتربت من الباب وقالت: "أثير إليل"، فظهر مكان وضع المفتاح.

صاح: لا أصدق، إنّه الباب فعلاً! كيف حدث هذا؟!

- ما قلته كان حقيقة.

مدت يدها لتضع المفتاح في مكانه، نظرت إلى سليم وتبسمت.

أدارت المفتاح.

كأنهما يمران بشريط جمعت فيه الصور، يراقب ذلك في صمت، والاندهاش بادٍ عليه، توقف الشريط ليرى عدسة كاميرا ضخمة.

- قالت: هذا آخر الطريق سندخل الآن.

سألها عن معنى أثير إليل..

- أجابت: هي بمثابة جواز الإذن بالمرور، كلّ من في هذا العالم يملك كتاب الأثير الخاص به، يسلم له عند تخرجه من معهد التمثيل، معه قلمه الخاص، ولا يكتب إلا به، حتى إذا ضاع القلم فلن يستطيع غيري الكتابة فيه، فالعرف هنا أنّ القلم والكتاب أساسيان لتسري عليك الأحكام.

- استغرب: لمَ الحاجة لهذا الكتاب هنا؟

- إنه صار كالقدر، لا نبدأ التصوير إلا بعد الانتهاء من كتابة أدوار كل ممثل، وكل من كُتب دوره بقلمه يصير ملزماً بأداء الدور المنوط به.

- تساءل مجدداً: هل كل من يمثل دوراً هنا لابد أن يكتبه في هذه المفكرة؟

- قلت لك سابقاً، إنّه واقع الآن كان تمثيلاً من قبل.

- فلماذا اخترت الموت في آخر مسلسل ليلى يا إليل؟

- لم أشأ ذلك، الحقيقة أنّه لا أحد يحب الموت، ثمّ صمتت بعد تنهيدة وعيناها اغرورقت بدمع أبي.

أكملا سيرهما في صمت.

كانت مشية سليم متباطئة، ينظر للسماء المظلمة وما حوله أيضاً مظلم، سأل إليل:

- كم الساعة الآن؟ لا أرى القمر والليل قد حل قبل دخولنا هنا.

- لن تشرق الشمس أو يطلع قمر، هذا العالم أريد له أن يبقى هكذا ظلاماً في ظلام، لأن من استولى عليه حجب عنه أنوار الشمس والقمر وحتى ضوء النجوم لكيلا يعرفه أحد.

كان هذا منذ زمن بعيد، فقد كان كل من يعيش هنا، من قبيلتي آكر، لا يعملون شيئاً غير الاشتغال في مجال صناعة الصورة، كانت الشمس تطلع في وقتها فيتأهب الجميع للمناداة في الساحة الكبرى بأنّ الوقت حان للعمل، وما هي إلا لحظات قليلة حتى تجد الساحة عامرة بالأهالي نساء ورجالاً وأطفالاً، كأنّ آذانهم لم تبرح المكان، ترى المخرجين يهرولون حاملين كاميراتهم، الممثلين بحقيباتهم الممتلئة، والنساء قد بدأن في تحضير أنفسهن إما للعب الأدوار المنوطة بهنَّ، أو مسرعات إلى المطابخ ليباشرن عملهن فيه كطاهياتٍ لفرق العمل.

ما إن يتجهزوا حتى يخرج عليهم كشيم، كانت له مكانة عظيمة بيننا، يخرج بمحفظته على ظهره، القبعة على رأسه، النظارة الشمسية لا تفارق عينيه، يتجاوز الصفوف المحتشدة والابتسامة لا تفارق محياه، كلما رأى فتى أو طفلاً وقف يتأمله بابتسامةٍ حتى يصل لكرسيه في أعلى المنصة، ليضرب بالمطرقة على طاولة صغيرة هاتفاً في الحشود:

"ها هو يومٌ جديدٌ قد أقبل علينا، ولا بأس أن أذكركم كما اعتدت كل مرة، بأنّ هذا عالمكم لا دخل لأحد فيما تقومون به، أنتم الشعب والحاكم والقاضي والعامل، كلّ شيء تصنعونه بسواعدكم، فلتشمروا ولتبتهجوا بما

تقومون به، لا وجود للعاطلين ولن نقبل أن يكون بيننا يائس أو بائس أو محتاج، فهيا للعمل نبني مجدنا بأنفسنا، لا أريد أن يتحكم بنا أحد لذلك وزعت على كل واحد منكم مفكرته التي يكتب فيها ما شاء.

كنت أنا حينها لم أكمل بعد سن الخامسة عشر، فلم تكن لي الأحقية لولوج معهد التمثيل، فكلفني كشيم مع باقي الفتية الذين في سني بكتابة ما يمدنا به من "سيناريوهات" فقد علمنا الكتابة والنسخ في آلات تقليدية، نضع الحبر على الحروف، ثمّ نطبعها في ورقات لنجمعها في كتاب نلصق بعضها ببعض بخيوط غليظة، نحضر نسخاً عدة فنحتفظ بنسختين في خزينة كبيرة فيها رفوف كثيرة صنعها ميكانيكي يدعى ديز، جعلها طويلة جداً، كلما وضعنا النسخ ضغطنا زراً فيصعد الرف، ويظهر رف آخر فارغ، وهلمّ جرّاً في باقي المرات.

كنت في المعمل أسمع خطابه اليومي للأهالي، تهتز روحي وأهيم مع كلماته الرنانة وصوته الرخيم، أسمع هتاف الناس المتجمهرة حوله، يحذوني الأمل لأصير جزءاً منهم ذات يوم.

كان كشيم بعد أن يفرغ من خطابه اليومي يتوجه حيث كنا، يراقب عملنا واحداً واحداً، يتمعن جيداً في النسخ، فإن كانت الكتابة ظاهرة يأمر مساعده أن يحملها إلى مكتبه وسط الساحة، وكان يدقق جيداً في الأمور التي تبدو لنا بلا فائدة، فإن رأى المداد زائداً عن القدر الذي طلب منا، أو

مرشوشاً خارج الحرف يأمرنا بإعادة الصفحة، ويقول: هنا لا نستهين بشيء كيفما كان، أريد الدقة والإحسان في العمل.

كنت حينها أتأمله بعين مركزة، أوافق كل كلمة قالها: حاضر سيدي.

يخطو بعدها بخطوات متسارعة نحو معمل الخياطة ليقف على عملهم هناك.

المعمل كان على يمين الساحة، يشتغل فيه النساء والرجال، يسهرون على خياطة ملابس العمل، يتسلمون ورقات كشيم كلّ صباح، فيباشرون تحضير ما طلب منهم، يدخل عليهم رئيسهم كل يوم، يتنادون بوجوه مستبشرة، يتلقون الأوامر وأجسادهم مفعمة بالحيوية، يوزعون المهام، ما إن يتسلم أحدهم مهمته حتى يهرول إلى مكانه ليبدأ العمل.

يتجول كشيم بين المطبخ وصالون تحضير التجميل وغيره مما نحتاجه لتكون جودة العمل كما أراد.

يعود إلى مكتبه بعد أن ينهي جولته اليومية، يجد الناس مصطفين ينتظرون قدومه، يبدأ في تقليب الكتب التي حضرناها ليختار الأدوار، يقدم لهم نسخة ويطلب منهم أن يتداولوا بينهم لاختيار كل وما يناسبه.

يتوجهون نحوه ليعرضوا عليه اتفاقهم، يطلب منهم أن يدون كل واحد منهم ما رضي به في كتابه الأثير.

يتجه كشيم إلى الساحة لينادي في الجمع: سنبدأ عملنا بعد الظهيرة، فليحفظ كل واحد منكم دوره، وليكن عملاً أحسن من سابقه.

هكذا يبدأ ما ترونه في عالمكم، ولا ينتهي إلا بعد ستة أشهر.

تنقضي الشهور فيأخذ كشيم الأشرطة ويجتمع بالفريق المكلف بالتصوير في مكتبه داخل منزله، ويبدأ عمل آخر وهو اللمسات الأخيرة التي لا تحتاج لأكثر من أسبوع.

يأتي اليوم الذي يودع فيه الأهالي كشيم حيث سيعرض العمل على المنتجين الذين كانوا كما حكى لنا ينتظرونه بفارغ الصبر، لكن أين يقابلهم لم نكن نعرف ذلك، يغيب عنا ليومٍ واحدٍ فقط فيعود مستبشراً، يتقدم نحو الناس الذين تجمعوا في الساحة، يستقبل التهاني، النساء يزغردن والرجال يهتفون.

يُطَمئننا أنّ العمل سيرى النور قريباً، يقدم ومعه حقائب محملة بعائدات العمل فيأمر المكلف بالخزينة أن يحملها، يخرج ورقة يطلب منه أن يوقع على استلام وفيه قد حُدد المبلغ.

في اليوم الموالي يكون الكل قد تقاضى أجره بالتساوي، يبدؤون بتحضير احتفالات الفرح بإنهاء فيلم جديد.

سليم يسمع باهتمامٍ كبيرٍ، مستمتعاً بما تحكيه إليل، نسي كل ما مرّ به وقد استأنس بها، لكنّه لاحظ أنّها تحكي بحذرٍ شديدٍ، كأنّها تخفي أمراً غاية في الأهمية، سألها: لمَ توقفت عن الحكي؟ وقد بدا على محياها التأثر الشديد.

- ما بك إليل، أكملي لماذا توقفت؟

نظرت إليه بوجه شاحب: لم يعد هذا العالم كما كان، استحوذت عليه قبيلة تسمى "وَنْب نُويْهِص"، لم نكن نعلم أنها أرسلت بعضاً من ساكنيها

ليتعلموا منا فن الحكاية البصرية، اندسوا بيننا حتى عرفوا السر الذي أخفاه كشيم عنا، فعادوا إلى ديارهم ليؤسسوا لموجة جديدة من الأعمال الرديئة الماسخة، توجد غرب عالم الكواليس، عرف أهلها بالثراء الفاحش كل يوم سهرات حمراء وخمور، رقص وفاحشة، لم يجيدوا شيئاً إلا أنّ مالهم استهوى الكثيرين ممن زاغت نفوسهم.

كان كشيم دوماً يحذر منهم، ويدعو الناس ألا يغادروا إليها "إياكم وونب نويهص، إنهم أغبياء لا يمتلكون ذرة من الإنسانية، لا تستهويكم الملذات التي يعتقدون أنهم ينعمون فيها، أقسم أنكم أشرف منهم بكثير".

ويقول إنّهم ساوموه ليشرف على أعمال أرادوا تنفيذها بمقابلٍ ماديٍّ جدّ مغرٍ، لكنّه يرفض لتفاهتها ومسخها.

أذكر جيداً ذلك اليوم الذي خرج فيه كشيم متوتراً على غير عادته، منادياً: أين الصندوق؟ ألم يرَ أحدكم صندوقاً أحمر؟ تجمع الناس حوله، أي صندوق سيدي؟ أجاب وقد اختفى منه الثبات ليحل مكانه الارتباك والقلق: إنه صندوق صغير أحمر، وبداخله مفتاح.

بدأ الجميع يبحث ولكن دون جدوى، دلف إلينا كشيم وهو يتمتم ألم تروا صندوقاً أحمر هنا؟ أجبناه: لا سيدي، فأمرنا أن نعيد التفتيش، وأشار إليّ أن ألحق به.

صُدمت حينها وأنا أتبعه بخطوات مترنحة، تحدثني دواخلي إنّه كشيم، أنا بجانبه وقد اختلطت عليّ آنذاك الفرحة والخوف مما فقده، لا أحد قد فهم

بعد مدى أهميته، اتجهنا نحو منزله وكنت أنا وهو، اقتربنا فوقفت قرب الباب، صرخ في وجهي ادخلي لا تقفي هناك، لم أطلبك للحراسة.

تقدمت حتى دخلت، طلب مني أن أبحث معه عن الصندوق، بدأت بفعل ما يطلب مني دون أن أناقشه، يوجهني فأتوجه وأبحث بين الأغراض حتى أنتهي فيوجهني لمكان آخر، بقينا على ذلك الحال حتى أحسست أنّه قد أنهك، جلس على كرسيه وقال: إن لم أجد الصندوق، قد ينتهي كلّ شيء هنا.

تشجعت قليلاً، خطوت نحوه بحذرٍ شديدٍ، قلت بصوت منخفض: كيف سينتهي كلّ شيء هنا بسبب هذا الصندوق؟

تنبه بعدها وكأنّه قد قال ما لا يريد، تظاهر بأنّه لم يسمعني، طلب مني أن أبحث في مكان آخر، لكنّني اقتربت منه، قلت: لكنّك سيدي قد ذكرت شيئاً خطيراً، حصرت فيه كلّ ما نعيش هنا بذاك الصندوق.

حنى رأسه وقال لي: يا إليل، فرحت لما ناداني باسمي، سألته: هل تعرفني سيدي؟

قال: وهل تظنين أني لا أعرف أحداً هنا، أعرف كل العاملين بأسمائهم وأعمارهم، أعلم أنك تنتظرين وصولك للسن القانوني لولوج معهد التمثيل، ولو كان بإمكاني جعلك تلجين قبل ذلك لفعلت، لكن القوانين هنا صارمة ودقيقة، وأردف: لكن لا حاجة لك من اليوم بذلك، كل شيء ضاع مع الصندوق، استوقفته ماذا تقصد؟ وما سره؟

طلب مني في هدوء قفل الباب، فعلت وقال: اقتربي، هذا سر أخفيته عنكم، سأخبرك: ذاك الصندوق فيه مفتاح هو صلة الوصل بيننا وبين عالم آخر، فقد كلفني من كان قبلي بهذا الأمر، وعاهدني ألا أخبر أحداً.

أتعلمين أين كنت أذهب بعد انتهائنا من العمل؟

أجبته مندهشةً: لا، فقال: أعلم، كنت أسافر إلى ذلك العالم لألتقي بالمسؤولين عن صناعة الأعمال المصورة هناك، أبيعهم ما نجهز فيبدؤون بمشاهدته، يختارون الممثلين من عالمهم ليقلدوا ما يشاهدون دون زيادة ولا نقصان، كان الناس في ذاك البعد يرون ما تصنعون، لم يعرفوا يوماً عنا وعن المجهود الذي نبذله في سبيل إمتاعهم، كل الشهرة ينالها أولئك الذين يلعبون أدواركم، ولكن الآن كل ما تفعلون لن يراه أحد، فمفتاح الباب الذي ينقلني من هنا إلى هناك ضاع، سألته: أيّ مفتاح وأي باب؟

اتجه بعدها نحو مكتبته، أبعد درجيها ليظهر باب، فتحه ليلج مكاناً مخفياً وراء المكتبة، دخل إليه وبعد برهة خرج وهو يحمل كتاباً كبيراً قديماً، خطت كتابته باليد، قال لي: اقرئي الصفحة الأولى، خفضت رأسي وما زالت الحيرة مخيمة عليّ، قرأت: "المفتاح سبيلك لذاك البعد، ارحل إلى آخر قبيلة آكر إلى الجبل، اجلس الأربعاء وركز، الباب سيظهر - كما رأيت ميلس - لن يظهر مكان المفتاح حتى تقترب منه وتردد كلمة السر، هي أثير كشيم".

فلما أحس أني أنهيت، قال: هو كتاب وجدته في هذه الخزانة، وقد كتبه الحكيم آكر، كنت صبيَّهُ الذي لازمه سنين، وتعلمت منه ما ترونني أفعل،

لما اقتربت وفاته دلني على الكتاب، وقال: الأمر كله لك، حافظ على آكر وأهلها، ما تفعلونه هنا عظيم، وسأتركك تكتشف ذلك بنفسك.

وجدت مع الكتاب الذي دلني عليه صندوقاً صغيراً أحمر، فعرفت كيف كانت تجري الأمور هنا، وأين كان يسافر الحكيم آكر، كما عرفت أنت الآن.

كانت تساورني الدهشة التي تملكتك يا سليم عندما أخبرتك بعالم الكواليس.

ثمّ قالت: يجب أن نسرع الخطى حتى نصل إلى ديارنا.

بدا على سليم الاهتمام الشديد بإليل، يريد أن يعرف أكثر عنها وعن هذا العالم الذي كان من وقت قريب ينكر وجوده ويعتبره نسجاً من الخيال.

يا سليم قم، قد حان وقت الاستيقاظ، ستتأخر عن الكلية.

يأبى الاستجابة لندائها، تقترب منه فترفع عنه اللحاف وتدغدغه.

- كفى يا أمي كفى سأنهض..

- تجلس بجانبه: يا بُني كفاك سهراً ستضر نفسك.. ما تتابع سينتظرك حتى الصباح، ترهق نفسك بكثرة مشاهدة التلفاز.

- يستوقفها: لا عليك أمي، كل ما أرى يلهمني للسير قدماً للنجاح في حياتي، أتدرين ما رأيت بالأمس، فيلماً يحكي عن قصة فقير عاش حياة صعبة جداً، ظروفه كانت قاسية جداً، ولكنّه ثابر وجدّ واجتهد ليصل لمبتغاه، ولو أنّ نهاية الفيلم لم تعجبني، فقد مات بعد أن وصل لما أراد، اغتاله أعداء النجاح.

ويتيه سليم بعد كلماته ليقول: لا أدري لماذا يختار صناع الحكايات البصرية أن يموت الأخيار في الآخر لا أدري! وكأنّ رسالتهم أنّ كلّ من يحاول النجاح مصيره الموت، يريدون زرع الانهزامية في النفوس.

يرفع رأسه، لا أحد أمامه، قد غادرت أمه غرفته منذ مدة.

ينزل مسرعاً ليجد أمه تنظر نحوه، ووالده وأخوه يتهامسان ويضحكان، يسلم عليهم ويجلس على مائدة الفطور، فيقول أخوه الصغير ياسر: ماذا رأيت البارحة أخي؟ يبدأ في السرد إلى أن يوقفه صوت حبس ضحكاتهما، ليقول في

هدوء: لن تحسوا ما أحس.. عليكم أن تعيشوا مع الفيلم، تشعروا به وبفكرته.

لا عليك سليم - يقول الأب - نحن نمازحك ليس إلا، لكن ما يدهشنا هو هذا التعلق الكبير بما تنتجه الشاشة، كأنك تعيش في عالم غير عالمنا، أعلم أنك متفوق في دراستك، ولم أتعجب اختيارك للأدب العربي بعد نيلك لشهادة البكالوريا، لأنك منذ الصغر كنت مولعاً بالقصص والأدب بصفة عامة، كل ما نخاف عليه هو صحتك وبعدك شيئاً فشيئاً عن الواقع.

- يا أبي لا تخف سأنجح في حياتي، هذا وعد مني إليكم.

يودع أسرته بتقبيل رأسيّ أمه وأبيه، ويمازح أخاه ياسر بشد شعره شدة خفيفة.

ينطلق إلى كليته نشطاً، يتابع ما يقول المحاضر، يدوّن كل شيء يراه مهماً، يعود بعد ذلك للمنزل فيتفرغ للدراسة، ساعات طوال، يسافر بين الكتب ويستمتع بقراءة الروايات والقصص، بعدها يفتح التلفاز ليسهر وفيلم جديد أو مسلسل يهيم معه إلى أن يسمع نداء أمه الصباحي.

بعد هذا التيه تنبه ليرى أنهما اقتربا من قرية صغيرة يشع منها ضوء خافت، البنايات فيها تبدو بدائية من العصور القديمة، يحيط بها سور لا يتعدى ارتفاعه طول أكبر بناية، فيه باب واحد.

التعب يظهر على كليهما، أحسّ سليم بعطشٍ شديدٍ، طلب منها بعض الماء، قالت: سنجده داخل القرية، هيّا تحمل حتّى نصل، ما هي إلا خطوات قليلة.

وصلا إلى الباب، فتح وكأنّه يفتح ويغلق تلقائياً عندما يستشعر قرب أحدهم، أطل رجل عجوز، كان هو من فتحه، قال: أهلاً بعودتك إليل، خفنا عليك كثيراً.

أجابته: شكراً لك سيد يمار.

نظر يمار لسليم، ثمّ ابتسم: مرحباً بك بُني.

- شكراً لك سيد يمار، اسمي سليم، ولكنه ميلس عندكم.

- أرى أن إليل قد حكت لك الشيء الكثير، هيّا تفضلا بالدخول.

دخل سليم وهو يتفحص المكان، المنازل مبنية بالطين، أسقفها من جريد النخل، كلّ من مرّ بهم يسلم عليهم ويرحب خصوصاً بسليم، حاملاً قنديله الموقد، يقول له السيد يمار: غداً في نفس الموعد في الساحة الكبرى.

اقتربوا من برميل كبير وضع بجانبه كأس من طين، ذكَّره بعطشه، طلب منهما انتظاره حتى يشرب، ضربت إليل على رأسها واعتذرت مبدية نسيانها لطلبه، أجابها: لا عليك، أعلم أن فكرك مشغول بقضيتك السامية.

اقترب سليم من البرميل فسكب كأساً وشربه، سكب الثاني والثالث، حتى انتهى فحمد الله.

اتجه نحوهما ليكملوا مسيرهم في صمت، حتى انتهوا إلى منزل تطل نوافذه على الساحة الكبرى، وقبل أن يتفوّه بكلمة قالت إليل: نعم هذه هي الساحة الكبرى التي صنع فيها جلّ ما تشاهدون، هنا كان يقف كشيم،

وأشارت إلى منصة كبيرة وسط الساحة، ومرافقه الذي يقف أمامك السيد يمار..

تبسّم سليم وهو يشاهد تلك الساحة العظمى، التفت إلى السيد يمار؛ فوجده هو الآخر يبتسم، قال يمار بصوت رخيم: نعم هذه الساحة ستظل شاهدة على كل من كان هنا، هو إرثنا الذي نفخر به، وسوف نضحي بأرواحنا لنعيد الحياة لعالم الكواليس قبيلة آكر، ثمّ طلب منهما أن يدخلا كي يستريحا قليلاً.

في المنزل صور معلقة لأناس كثر وجلها في الساحة الكبرى، معها صورة كبيرة لرجل يضع نظارة شمسية ومعه السيد يمار، علم سليم أنّه كشيم بالمواصفات التي حدثته بها إليل، سألهما: لم أرَ إلى الآن كشيم هل ما يزال على قيد الحياة؟

صمتت إليل، بدا عليها القلق، قال يمار: لقد رحل عنا منذ زمنٍ وترك الفراغ في قلوب أهالي آكر، وفي قلبي خصوصاً، لن تنجب هذه القبيلة شخصاً مثله، بل لن يوجد في هذا الكون مثله، تنهد تنهيدة صعدت معها أنفاسه لتلفح سليم.

ظنّ سليم بداية أنّه مات، ولكن فاجأه مكملاً حديثه: لقد رحل إلى "ونب نويهص".

- السيد كشيم يرحل إلى "ونب نويهص" غير معقول! لقد حكت لي إليل أنه كان يكرههم، ويحذركم من الاقتراب منهم.

نظرا نحوه في هدوء، سنخبرك لاحقاً بما حدث، الآن عليك أن تتغذى قليلاً، هذا الطعام حضرته لكما، كلا وبعد ذلك اصعد يا سليم إلى الغرفة الأولى على يمينك، وأنت يا إليل إلى الغرفة على الشمال.. أما أنا سأقضي أمراً مهماً، وقد أعود متأخراً لا تنتظراني، طابت ليلتكما.

خرج وأنظار سليم لم تتركه للحظة.

- هيّا يا سليم لنجلس، أعرف أنك تتساءل عن سبب رحيل كشيم إلى هناك، ولكن ستعرف كلّ شيء في وقته.

جلس، أخذه التفكير فيما قالا، حديث النفس أخذ في الظهور مجدداً، وتلك التساؤلات المحيّرة:

ولكن ماذا يقصدان، لطالما تغنت إليل بكشيم، وكذلك ما سمعت من السيد يمار، لمَ قد يرحل شخص مثله إلى هناك، لا بد وأنّ في الأمر ما يخفونه عليّ، نعم إليل ذكرتْ تلقي كشيم لعروضٍ كثيرةٍ منهم، ليشرف على عمل يكون من إنتاجهم مقابل أموال خيالية، هل يمكن أن يضعف ليقبل بعروضهم، كل شيء ممكن، فالنفس البشرية ضعيفة أمام المال.

أخرجه من حديثه صوت إليل وهي تقدم له الطعام وتبتسم: كل يا سليم ونم، لا تفكر في شيء.

جلسا إلى المائدة، أكلا في صمت، بعدها صعد إلى غرفته، تمنت إليل ليلة طيبة لسليم، أجابها: وطابت ليلتك.

دخل إلى الغرفة وحيداً ثانية، ولكن هذه المرة غرفة في عالم آخر، يجهل تماماً ماذا سيحدث في الغد، لكن هذا ما اختاره، وعليه أن يتوقع كل ما يطرأ ويرضى به، استلقى على سرير بسيط مطل على الساحة، فلم يزل نظره من هناك وهو يتخيل ما حكته إليل عنها، وقولها: ولكن لم تعد كما كانت منذ رحيل كشيم.

أصوات دوت في الساحة: تجمعوا يا قوم تجمعوا.

قام من سريره، طرقت إليل بابه: هيا يا سليم، سنخرج الآن.

فتح الباب: هل أقول صباح الخير أو مساء الخير، لا أدري.

- صباح الخير، إنه الصباح، كيف كانت ليلتك؟

لا أعلم! أحسست أني غريب عن هنا، وقد أرهقني التفكير، وما شعرت حتى سمعت المناداة.

- جيد أنّك نمت، هيّا بنا لنلحق الموعد.

- حسناً.

أهالي آكر متجمعة في الساحة صغيرهم وكبيرهم ينتظرون، كلهم شوق لرؤية سليم، كأنّهم ينتظرون المطر بعد طول جفاف، تهامست أصواتهم وسمعت كدوي النحل، جماعات تتحدث بينها، كلهم أمل أن تنتهي مصيبتهم على يد سليم.

نزل سليم وإليل فوجدا السيد يمار في انتظارهما:

- صباح الخير.

- صباح الظلام سيد يمار.

- هيا سنقصد الساحة، الناس ينتظرون، ستعتاد على الأمر.

تبع سليم يمار وإليل، ما إن رأوه الناس حتى ارتجت الأرجاء من صياحهم وزغاريد النساء الواقفة خلف الرجال، تقدم وهو يحييهم ويلوح بيده، الدهشة تنزل عليه تارةً وتختفي تارةً أخرى.

تقدموا بين الصفوف المحتشدة حتى وصلوا إلى المنصة وسط الساحة، جلس يمار في الوسط، جلست إليل على يساره، وسليم على يمينه.. بعد برهة طلب يمار من سليم أن يحمل المطرقة الخشبية الصغيرة ويطرق بها على الطاولة، وقف وقفة متهادية، تقدم نحو الطاولة، حمل المطرقة، رأى وجوه الناس مستبشرة، تبسم وأخذ يطرق فتعالت الصيحات.

قام بعدها السيد يمار مخاطباً الناس:

يا أهالي آكر، اليوم غير باقي الأيام التعيسة التي خيّمت على منطقتنا، اليوم نهار جديد وأمل جديد، أمل عودة أرضنا الطاهرة كما كانت، أرضاً قوية بنا وبما نقوم به من عمل شريف نسهم به في رقي الفكر الإنساني، إن بانقطاع ما نقوم به من عمل جليل فسح المجال لأعداء البشرية ليسوسوا العقول ويستلبوها، ليتحكموا في العالم بأسره بما ينشرون من رذيلة ومجون، إن

"ونب نويهص" قد غاظهم ما كنتم تفعلون، وحسدوكم عليه، وكم تمنوا كشيم لو يمدحهم حتى.

يا أهالي آكر، الإرادة وحدها من تشق الجبال فتنهد لتصير تراباً تحت الأرجل، منذ ذلك اليوم المشؤوم، ومنذ مغادرة زعيمنا كشيم، تعرضنا لأشد أنواع البلاء وما انهزمنا وما رضخنا، حوصرنا من كل مكان، ما ترجت أفواهنا أحداً، ولن نفعل ما حيينا.

يهتف بعدها يمار بصوت شجي: المجد لآكر.. المجد لآكر.

تردد الجموع المحتشدة: المجد لآكر.. المجد لآكر.

سليم يراقب الجميع، لم تكتمل الصورة بعد في ذهنه، بين الفينة والأخرى يرمق بنظرات خاطفة إليل، كأنّ جسدها قد تجمد إلا من سمعها وبصرها الذي يحدق بالساحة، وبسمة بسيطة تغازل شفتيّها كل حين.

لا زال سليم لم يفهم بعد ما سيحدث في قابل الأيام، يجلس على كرسيه ويتفرج، حتى سلك في أذنه كلمة ميلس، تنبه ليسمع يمار يقول:

إن مصيرنا يتوقف عليه، أتينا به من عالم لطالما صفق وهلل لما تصنعون، الوحيد الذي وجدناه كأنه يرى واقعنا، كأنّ قلبه ينبض معنا في آكر.

اقترب من سليم.. أشار إليه أن يقوم معه.

قام سليم مندهشاً مع يمار حتى قال: ما الأمر؟

- هل لديك ما تقول؟

- لا، لا شيء.

- حسناً، فهل ستوافق على مساعدتنا؟

حنى سليم رأسه، صمت لبرهة، ثمّ رفع رأسه في وجوه الناس يتأملهم "لطالما أحببت الخير وكرهت الظلم، ولطالما كرهت تلك الأعمال الماسخة القذرة، التي ما صنعت إلا لتستخف بعقولنا وتجعلنا بلا قيمة، الناس هنا يعانون أيضاً من هذا ويكرهونه، نعم سأفعل"، وبدا على وجهه تأثر لاحظه كل من هناك، وأعاد الثانية في نفسه أيضاً، حتى أشار بيده للجمع وصاح بالثالثة نعم سأفعل.

اقتربت منه إليل، همست: كنت أعلم أنّه لن يخيب ظننا فيك.

- سأفعل المستحيل من أجلك.

خجلت، أحس بذلك فأردف: ومن أجل كشيم، يمار، من أجل قبيلة آكر.

تذكر أنه لا يعلم إلى الآن كيف يساعدهم، فسألهم: كيف سأحقق ما تريدون؟

أمسكت إليل يده:

- سنخبرك، ولكن حتى نلتقي أعضاء مجلس السبعة.

أعضاء المجلس سبعة أفراد، يمار مساعد كشيم ويده اليمنى، مسؤول عن التواصل مع الأهالي وحل كل مشاكلهم واستفساراتهم.

إليل التي بلغت السن القانوني وحصلت على كتابها الأثير، كانت مسؤولة عن النسخ وتطويره إلى جانب كونها في خلية الكتابة وقد تكلف بأدوار في أفلام ومسلسلات وغيرها.

ديز الميكانيكي المسؤول على صنع ما يتطلب من أجهزة ميكانيكية.

ديوس خبير في المعلوميات.

مستر لوك العبقري الذي يسعى لتطوير السفر عبر أبعاد الكون.

الكاتب فيل.

والسابع هو كشيم الذي غاب عن آكر متجهاً نحو "ونب نويهص".

أنشأ المجلس كشيم ليكونوا المخططين لكل شيء، انتخبهم الناس وصوتوا عليهم بشكل ديمقراطي، فأدوا القسم في الساحة الكبرى أمام الجميع بألا يخونوا عهد آكر.

كانوا أكثر الأهالي جِدّاً واجتهاداً، أقلهم نوماً، يسهرون الليالي الطوال ليجهزوا كل ما يلزم، يتداولون بشأن ما سيشتغلون عليه، يوافقون عليه قبل أن يعرض على البقية.

التقاهم سليم في قاعتهم، مقعد كشيم كان فارغاً، فدعاه يمار أن يجلس مكان كشيم، رحبوا بسليم ودعوه للجلوس، كانت هيبتهم واضحة ووقارهم، الحكمة والسمت يميزهم.

بدأ السيد يمار حديثه وأسماع البقية تنصت، وجه الخطاب لسليم:

- اسمع يا ميلس لقد تم اختيارك لنكشف لك عن هذا العالم، لما وجدنا فيك من صدق وخلق حسن وتربية، علاوة على ذلك تعلقك الكبير بالحكايات المصورة، حبك للخير ونبذك للشر وأهله، تتساءل كيف عرفنا ذلك، سأدع إليل تخبرك.

التفت سليم نحو إليل التي كانت تجلس على يمينه.

أخرجت إليل خاتما يشع منه لون أحمر، وقالت هذا من دلني إليك هو من اكتشاف ميستر لوك وديوس، سيشرحان لك الأمر.

فتح ديوس حاسوبه المحمول، قال بصوت رزين:

ظننت في البداية أنّ الأمر ليس بذاك التعقيد، فحاولت إنشاء وترٍ جديدٍ، لم أفلح وقد قمت بتجارب عديدة يصعب حتى إحصاؤها، فخلصت إلى أنه وترٌ واحدٌ لا غير وجب عليّ الوصول لشيفرته، التي تتكون من عشرة أرقام، ولك أن تتخيل عدد المحاولات.

حين توجب عليّ فك الشيفرة لا أخفيك الإحباط الذي تسلل بداخلي، لكن لم أمهله كثيراً ليستقر في عقلي، بدأت مباشرة في المحاولة، ثمّ

طوّرت برنامجاً لفك الشيفرات، أخذ وقتاً طويلاً جداً حتى تمكن من إيجاد الأرقام، رابطتُ قرب الحاسوب، أنام وحالما أصحو أنظر في الشاشة، إيماننا كان راسخاً بنجاحنا، وهو ما أعاننا على بلوغ الهدف المنشود، بعدما ظهر الباب جربت إليل فتحه، لكن دون جدوى، المطلوب دائماً كلمة السر، وقد أخبرتنا إليل بما قرأت في الكتاب الذي ناولها كشيم، جربته لكن لم يكن هو، حتى قالت: "أثير إليل"، وكانت العقبة التالية أنّ ما ظهر بعد كلمة السر مكان المفتاح ولم يفتح الباب، بدأ تحدٍ آخر هو صنع مفتاح للباب.

ديز هو من كلف بهذه المهمة، وسيخبرك بتفاصيل إنجازه.

حكت إليل سابقاً لسليم عن ديز، وقد كان شاباً طموحاً، سخر أيضاً كل معارفه للمساعدة في فتح الباب، قال لسليم:

- مفتاح باب عالم الكواليس ليس عادياً، ظننته في البداية كباقي المفاتيح، جمعت الطين وتركته حتى اشتدّ قليلاً، ثمّ أدخلته في فتحة الباب بعد أن نطقت بكلمة السر، وهي أثير ديز، وذلك بعد أن جربت أثير إليل، لنفهم بعد ذلك أن كلمة السر هي خاصة بكل فرد من عالم الكواليس، وليست واحدة للجميع، صهرت الحديد، ثمّ سكبته فوق الطين ليأخذ شكل المفتاح، لكن بعد تجربته لم يُفتح الباب، مادة الحديد لا تتوافق مع المزلاج الذي يصل إلى الحدبة، عوض الحديد جربت النحاس، ثمّ الفضة، فالذهب، وكلهم بلا نتيجة حتى فكرت في مادة أكثر لمعاناً، فكانت هي الزبرجد، وجدناه بشق الأنفس عند امرأة مسنة، نعلم أنه غالٍ جداً، ومن كرمها أهدته لنا دون

مقابل، وقد عرضنا عليها تعويضاً، لكنها رفضت، ما زال جوابها يتردد صداه في عقلي: "أنا امرأة مسنة، قد عمّرت طويلاً، عشت فترات لن تنسى مع الحكيم آكر، لقد علمنا معنى التضحية ولم يحدثنا عن ذلك يوماً، كنا نراها فيه، سنوات وهذا الزبرجد عندي، ما فكرت يوماً ببيعه؛ لأنّ المال كان آخر ما نفكر فيه، حصتي من عائدات الأعمال، يكفيني منها ما أحتاجه من ضروريات، ولو كانت المادة همنا لما قدمنا شيئاً، ولا اشتغلنا على مبتغى نحيا لأجله، فما المال إلا فتنة، خذوه دون أن أتقاضى عليه مقابلاً، لأن أساهم في عودة آكر كما السابق أحب إليّ من الدنيا ككلّ، فلا تدرون مدى حبي لهذه القبيلة، وهل للمحبة عوض".

ثمّ أكمل ديوس:

- يا ميلس، لقد سهرت على برنامج من ابتكاري، يعين على نقل الأحاسيس ومشاعر الناس تجاه الأشياء، يقيس نبض القلوب وتقلباتهم المزاجية، تعبت كثيراً وحاولت مراراً وتكراراً لأنجح، سهرت الليالي الطوال، فشلت في مراتٍ عدة، ولكن ما عاهدت عليه أهالي آكر هو ألا أدخر جهداً في سبيل الحفاظ على هذا العالم الذي نشأنا فيه وتعلمنا منه الكثير، حتى تمكنت من الاختراع، إنك الآن تترقب بقلق ما هو قادم، لكن إرادتك أقوى من أن يضعفها قلق أو خوف.

ما قاله ديوس هو ما يشعر به فعلاً سليم، فقد كان قلقاً مُتَشوِّقاً لما سيحدث.

- بعد انتهائي من البرنامج كنا في حاجة لقطعة مهمة، ترسل لنا الإشارات منها إلى البرنامج لكي نصل إلى الشخص المطلوب، كانت هذه مهمة ميستر لوك، وسأدعه يفسر لك.

كان سليم يقلّب نظره من شخصٍ لآخر، يستمع جيداً لما يقول كل عضو من أعضاء مجلس السبعة.

بدأ ميستر لوك حديثه وقد كان مميزاً عنهم بشعره المجعد الطويل، نظارته المقعرة، نظرته حادة، يضع على رأسه قبعة:

- إنّ ما زرع فينا كشيم ليس بالأمر الهين، كنا نراه كل حياتنا، أحببناه وتعاهدنا معه أن نكمل مسيرة الحكيم آكر، كلّ واحد اختار الفن الذي يبدع فيه ليكون له الأثر في تقدم البشرية، من علماء جدوا وكدوا لأجل إسعاد الناس، وكتاب أفنوا عمرهم لتثقيف الناس، وأطباء لتطبيبهم، وغيرهم الكثير الكثير.

أما الحكيم آكر بما أوتي من حكمة علم أنّ هذا الباب لا يستهان به، وأنّ همم الناس ستبدأ بالذوبان أمام عصر السرعة الذي نعيش فيه، وهذا ما نراه الآن، الكل يهيم مع الشاشة لساعات طوال كأنّه مخدر لا يدري كم من الوقت أضاع، هجر الناس الكتب فاستلبهم التلفاز، لذلك ما رأى آكر في قمة الذكاء وأرقاه، جعلهم يشاهدون ما عجزوا عن قراءته، ذلك أدعى لاستفادتهم من لا شيء، هجمَ على عقولهم، سعى جاهداً ليساهم في تكوينهم، وترقية فكرهم.

نعم الحكيم آكر فعل كلّ هذا بهذا العالم، عالم الكواليس، لم يرد أن يشتهر ولا أن يذكر اسمه على كل لسان، كل ما أراد هو خدمة البشرية، لا شيء غير ذلك، ولو شاء أن يظهر لعالمكم لفعل كما يفعل ممثلوكم، ينالون الأجور الخيالية، كل الناس يعرفونهم ويتهافتون لالتقاط الصور معهم، لكن حرص ألا يعرف ليظل عمله خالصاً لا رياء فيه، وهذا دأب الحكماء، وهو أعظم حكيم في نظرنا.

أكمل ميستر لوك: يا ميلس لم نكن لننجح لولا إرادتنا وسعينا للخير يعم البشر كلهم، كان ذلك من خلال الأعمال التي أنتجناها، فالقلب الذي أحس بها أول مرة هنا لا هناك، لذلك القلب النابض هي آكر والصورة هناك عندكم.

هذا الخاتم الذي مع إليل دلنا إلى أكثر الناس تفاعلاً وحبّاً لشخصيات الأفلام الخيرة، يتوهج منه النور مع تقلبات مشاعره إن فرحا بما يقدمونه، أو حزنا على موتهم أو الغدر به، ولما استطعنا الوصول إلى عالمكم لم تحتج إليل الكثير من الوقت لإيجادك، لأنك كنت الوحيد الذي يتفاعل مع ما يرى.

نظر الكاتب إلى سليم نظرة رزينة:

- إنّ ما أعان "ونب نويهص" على النجاح عالمكم الذي لم يعد كما كان، أصبح عالماً تحكمه المادة التي استعلت على الأرواح وخنقتها، كنا من قبل ننادي فطرتكم النقية فنزرع في نفوسكم قيم المحبة والأخلاق، لكن

أفسدتكم "ونب نويهص"، غزت عقولكم حتى تلطخت فطرتكم الأولى، أعنتموهم بدون قصد بإقبالكم على ما يروجونه من سخافة وتفاهة ومسخ، استعمروكم فكرياً وهذا أخطر من استعمار الأوطان، فأنتم في وطنكم بلا هوية، هم كالشيطان لا يدعوك للكفر مباشرة، وإنما يستدرجك لذلك بأمور تستخف بها، درسوا عقولكم حتى تمكنوا منكم، لكن لن نسمح بذلك، ستحيي البشرية حرة، إما أن ننتصر أو ننتصر، لا خيار آخر نملك.

ظلّ سليم يحدق يمنة ويسرة، ينصت لكلام كلّ عضو بقلبٍ خاشع، أحسّ أنّ له وزناً في هذا الكون، وما سيقوم به في خدمة عالم الكواليس، وعالمه الذي يحتضر بسموم "ونب نويهص" اللعينة، رفع هامته ومد يده: أعاهدكم أني لن أخون عهد آكر، اعتبروني جزءاً منكم سأفديكم بروحي، لنفعلها ولو أني لا أعرف غير ما سمعت عن "ونب نويهص"، لكن سألعنها ما حييت.

قال يمار: حتى نحن لا نعرفها جيداً، إلا ما أخبرتنا إليل، والحقيقة أنّنا سنعتمد عليك، لأنّ دورنا كان إيصالك إلى عالم الكواليس.

- إذاً سأبذل قصارى جهدي، وما دام القصد شريف فكلّ النتائج مُرضية، سواء كانت خيراً، أو ما نظنّه شراً.

مد الجميع يده وأمسكوا بيد سليم، مستبشرة وجوههم، وقالوا بصوتٍ واحدٍ: المجد لآكر، واللعنة لـ"ونب نويهص".

"ونب نويهص" القبيلة التي تقع غرب عالم الكواليس، لا يجيدون غير اللعب واللهو والاستمتاع بملذات الحياة التي بسطها لهم قائدهم الأعلى ديفيد، ينامون أغلب اليوم ليتيقظوا جيداً لليل يهيمون فيه، لأنّ ديفيد أرادهم هكذا لا يفقهون ولا يتعلمون، تمكن من الاستحواذ عليهم دون أن يبدوا أية مقاومة، المال وحده فعل بهم ما فعل، وديفيد استغل هذه الثغرة ليبسط سلطانه ويمسك عقالهم، ليركعوا له مؤمنين أنه هو حياتهم ومخلصهم.

ديفيد كان دجالاً، ورث كتب سحر كثيرة مكنته من التحكم بالجنّ، أو هذا ما ظنّ، لأنّ الشياطين لا يتحكم بهم أحد، ولن يفعل ذلك أحد بعد موت نبي الله سليمان.

بايعهم على أن يفعل ما يريدون، إنّه مبعوثهم للبشر عدوهم الأزلي والأبدي، لم يتوانَ عن ذلك لما منحوه من قدرات، أغدقوا عليه من فتن القوة والمال والسلطة، ليبدأ في تنفيذ مخططاتهم التخريبية.

كل ليلة يطل على الناس من أعلى برجه ليوسوس في آذانهم وينفث سمه في قلوبهم، منادياً فيهم:

يا أهل "ونب ويهص"، أنتم خيرة من خلق في هذا الكون، لست أدعي ذلك، بل هي حقيقة ترونها كلّ يوم بأم أعينكم، اسألوا أنفسكم هل ينعم أحد

بما تنعمون به، أو يملك ما تملكون، أو يفرح كفرحكم الذي يسكن في قلوبكم، تتمتعون بالطيبات التي ما وجدت إلا لكم، وتحيون الحياة المثالية، اعلموا أن الجميع يريد ولو جزءاً بسيطاً مما عندكم، فلا قيمة للحياة بلا متعة، نطلق العنان لأرواحنا لتفعل ما تشاء، العبوا وامرحوا وتمتعوا وأنا سأضمن لكم ما تحتاجونه، اشربوا الخمر وتراقصوا ودقوا الطبول، هي أرضكم فافعلوا فيها ما تشاؤون بدون أن ينغص أحد عليكم عيشتكم.

تبدأ سمومه تجد في قلوبهم مستقراً، فلا يعارضون، بل ترى وجوههم فرحة وهتافهم قد أمتع نفس ديفيد الخبيثة، يدق الجرس إيذاناً منه لبدء الحياة الطيبة التي يعتقدون أنّهم يحيونها.

كانت خطة ديفيد هي السيطرة على كل العوالم بلا استثناء، لكن ما يمنعه عدم قدرته على خوض الحروب الدامية، كل ما يملك هو الوسوسة واستلاب العقول الساذجة.

فما كان منه إلا أن استشار مع شياطينه التي لا تفارقه، ليشيروا له على قبيلة آكر، فيسيطر عليها وذاك منفذه الوحيد ليصل إلى ما يريد، راسل كشيم في هذا الشأن لكن ردة فعله جعلته يكن البغض الشديد له ولأهل منطقته، فما عرض عليه ليس بالأمر الهين، المال الوفير مقابل إنتاج عمل يدس فيه أفكاره المخربة، ومن ثم يبدأ في التوسع ليسطر على عالم الكواليس، وعلى كل عالم يصله ويشاهد ما يتم إنتاجه.

حطم كشيم كرامته، ولم يكتفِ بالرفض، بل خاض معه حروباً كثيرة يحذر الناس من الاقتراب من تلك الأرض المدنسة الملعونة، هذا ما لم يستسغه ديفيد الذي اتقدت في نفسه شرارة الانتقام، حفظاً لكرامته التي لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها، وسعياً منه لتنفيذ مخططه الذي يروم إمساك العالم بنفس شيطانية.

بعد خطابه يقصد مجلسه وحيداً، بل معه الشياطين التي تملي عليه ما يفعل، دائماً ما أقنعوه أنهم أسياد هذا الكون، ولا أحد يجرؤ على مخالفتهم، وأن هذا العالم وُجد لأجلهم، لكن قبيلة آكر قد خطفت الأنظار، وأظهرتهم كأنهم همج لا يعقلون شيئاً، كالأنعام لا يعيشون إلا للأكل والشرب واللهو، وإشباع غرائزهم.

ديفيد لن يسمح لهم بفعل ذلك بـ"ونب نويهص"، و لا محالة سيقضي عليهم إلى أن يرضخوا لما يطلب منهم، ابتدأ أولاً بمراسلة كل عملائه في المناطق الأخرى، لكي يقطعوا تعاملهم مع قبيلة آكر، كل ما تحتاجه القبيلة كان يستورد من المناطق المحيطة بها، نجحت خطة ديفيد في فرض الحصار عليهم، إلا قبيلة سانكو التي كان لها علاقة وطيدة معها، كانت قبيلة لها من الخيرات ما لها، تمد آكر بحاجياتها الأساسية من الغذاء، لأن آكر كانت أرض إنتاج الصورة ولم تهتم بشيء آخر، زعيمها رجل شهم، يمتلك خصالا حميدة لم تسمح له أن يبيع نفسه لديفيد.

فرح ديفيد بنجاح خطته لكي يلوي ذراع كشيم، يعلم بحرصه على أهالي آكر، ولن يسمح أن يهلكوا بسببه، أرسل له رسالة يبتزه بها، إما أن يرحل عن آكر متجهاً لـ"ونب نويهص"، أو سيهلك قومه، وصلت رسالته لكشيم فأخفاها عن الأهالي، حتى عن أقرب الناس عنه السيد يمار، اعتزل في بيته مفكراً في الحل الذي سيخرجه ويخرج آكر من هذه المصيبة، فلم يجد إلا حلاً واحداً، قرر أن يرحل عنهم ليعيشوا بسلام بعيداً عن خبث ما يكيده ديفيد لهم، جهز حقائبه ورحل مع الفجر إلى "ونب نويهص" بعد أن ترك رسالة أسفل سريره، تفاجأ الناس لما لم يجدوه في الصباح، بحثوا طويلاً عنه ولكن بدون جدوى، فقد غاب ولم يعلموا إلى أين رحل.

وصل كشيم إلى "ونب نويهص"، اقترب منه جنديان ليقتادوه إلى غرفة ديفيد، دخل فوجده مستلقياً على سرير فخم مرصع بالذهب والألماس، الجواري حوله يطعمونه الفاكهة التي لم يرها من قبل، العبيد يحملون المراوح يهوونه بها، قال كشيم: ديفيد الشيطان يجلس على عرشه.

رمقه ديفيد، تعالت ضحكاته، قام من سريره متجهاً نحوه: كشيم أنت هنا لم أرك، نسيت فأنت الإنسان المثالي الذي دفن نفسه في آكر من أجل البشرية الحمقاء.

رد بثقة:

- بل لا أجد في هذا الكون أحمق غيرك، هل تعتقد أنك بما أراه في "ونب نويهص" ستغريني، أنا لا أهتم بكل هذه الحماقات، هي دنيا اعتقدت أنك تعيشها وما أنت إلا كالحيوان، يأكل ويشرب ويفرغ .

استشاط ديفيد غضباً، صرخ في وجه كشيم:

- ستعلم قريباً هذا الحيوان ماذا سيفعل، سترى الناس مثلي أو أقل، سأغزوهم ليعيشوا الحياة ويتمتعوا بها، سأسلب إنسانيتهم، أعدك كشيم أعدك.

تبسم كشيم وقال ساخراً: كيف ستفعل ذلك وأنت بارد الهمة خاوي الدماغ؟

أخرج من درج مكتبه الصندوق الصغير الأحمر:

- بهذا.

رآه كشيم فأراد انتزاعه منه، لكن رجال ديفيد قد حاصروه.

- من أين لك به؟ أرجعه فإنه لي.

- كان لك، أما الآن فلي أنا، وبه سأصل إلى ما أريد، إنّ الخطأ الذي ترتكبه طيبتك التي تقبل كل الناس دون التحقق من صدقهم وهذا ما استغلّلتُه لصالحي، إنّ بعضاً ممن قبلت دخولهم لآكر هم عملاء عندي، كانوا عيني هناك، راقبوا كل ما تفعلون من الألف إلى الياء، وقد راقبوك حتى ظهر الباب

الذي تلج منه، تسللوا حتى أحضروا الصندوق، سأذهب أيضاً إلى حيث تذهب لأبسط سلطاني، ضحك مقترباً من وجه كشيم وقال في تحدٍ:

- أنا الشيطان كما وصفتني، لن أسمح لأيّ كان بالوقوف أمامي، إما أن تطاوعني أو أقضي على آكر، أفهمت يا طيب.

أمر ديفيد خدمه أن يضعوه في الغرفة السوداء كما يسميها، توجد في القبو، نفذوا أمره وشددوا عليه الحراسة.

ظل كشيم في تلك الغرفة وكل همه حماية آكر، لكن ما يأمره به ديفيد خطير ولا يمكن أن يسمح لنفسه أن يساهم في مخططاته الشيطانية، كل أمله أن يخلصه من هذه الورطة شاب من العالم الآخر، هذا ما قرأ في الرسالة الأخيرة لآكر، والتي أخفاها عن الجميع لكيلا يصيبهم الرعب أنه قد يتعرضوا للخطر، فلكل وقت أخيار وأشرار، ولا يُعلم متى سيتواجهان.

استغل ديفيد خوف كشيم على أهله، الذي رضخ لأوامره، بدأ بتصوير ما يمليه عليه، غير أنّ ما يفعل لم يعتده، اعتاد الأفلام التي تشتغل على الرسائل السامية والأدب والأخلاق، التي تُربي في الإنسان حب الخير ونبذ الشر ومحاربته، أما الآن فديفيد يريد تردي الإنسانية، يحاول زعزعة فطرة الإنسان وتلويثها، وقد كانت خطته محكمة، لم يزل الحياء منذ البداية، ولكنّه حاول نقضها عروة عروة، فمرة يظهر المرأة عارية الرأس، ومرة يبين رجل دين يسرق، ومرة امرأة عارية الصدر، حتى تغلغل ذلك في عقول

الناس، زادت الطلبات على ما ينتج، فوصلوا إلى نزع لباس الحياء لتتبدى السوءة، ويهيم الكل على وجهه متبعاً ذلك.

أما كشيم فالنار تغلي في دواخله، ولكن ديفيد قد لف على عنقه حبلاً متيناً هو قبيلة آكر، إما الانصياع له أو تفنى منطقته.

خيّم على آكر الحزن بعد رحيل كشيم، فقد كان ملهمهم بجده وحبه لهم وحزمه، قلبه لا يحمل أحقاداً.

ترك يمار الكل وذهب لغرفة كشيم، بدأ يحدّث نفسه بصوت مسموع وهو يقلّب في الأغراض المبعثرة يميناً وشمالاً، اتجه نحو صورته المعلقة على الحائط وقال:

كعادتك يا كشيم ترتب كل شيء إلا غرفتك وحياتك الشخصية، مستعد أن تضحي بكل ما تملك لكي يحيا الناس بسلامٍ وأمنٍ، لكن لا أدري أين ذهبت دون أن تخبر أحداً، إني متأكد أن في ذلك مصلحة، ولكن كان يجب إخباري على الأقل، أنا صاحبك ورفيق دربك، انسكب الدمع من عينيه وهو يلمس بيده الصورة.

أحس بالتعب فجلس على السرير، أزال الخاتم الذي أهداه كشيم له، تملى فيه جيداً، انفلت الخاتم من يده ليسقط على الأرض أسفل السرير، انحنى ليبحث عنه، أدخل يده فلمس الورقة، إنها رسالة كشيم التي تركها وكأنه أحس أن يمار سيجدها لا محالة، أسرع لقراءتها:

"سلام على نفسك الطيبة يمار، أعلم أنك ستجد الورقة، فأرواحنا تتلاقى ولو بعد مكاننا، إنك تعلم أنني حرصت أيما حرص على إكمال ما بدأه الحكيم آكر، وإنك من تعلم أنّ المصلحة العامة كانت مقدمة على مصلحتي

الشخصية، ودائماً ما كنت مستعداً للتضحية بكلي في سبيلكم، نعم لقد قدمنا بكل ما نملك من قوة ما نصبو إليه، ودائماً في السنة الكونية هناك صراع بين الخير والشر، بين الظلم والعدل، بين الحب والبغض، وإنك تعلم أنّ ديفيد لم يدعني ولو للحظة، كنت معه في حرب دائمة، ولأنّ آكر ما يهمني فقد رحلت إليه ليتركم تعيشون في سلام".

إذاً أنت هناك!

أكملَ القراءة.

"الأمر متوقف عليكم، فما أخفيت عليكم قد علمتموه بضياع الصندوق، وما لم تعرفوه هو أنّ آكر قد ترك رسالة علمت أن جيلنا في هذه القبيلة هو الذي سيحمل هذا العبء الثقيل، عبء إنقاذ العوالم من شر سيحيط بها، يلزمكم بداية أن تتوحدوا، وأن تجتمع مع مجلس السبعة لتحاولوا الوصول للعالم التي كنت أرحل إليه، واتبعوا حدسكم فإنّه لا يخطئ لأنّ فطرتكم سليمة ونيتكم صادقة، حتى إذا تمكنتم من ذلك ستعثرون على شاب واحد ستكون له القدرة لفك كلّ ما نعانيه وما سنعانيه، أنتم الأمل وكلي ثقة في نجاحكم، وإن لم تنجحوا فلن أعاتبكم، وسأحبكم ما حييت".

التوقيع: كشيم.

انتهى يمار من قراءة الرسالة وقد ملأها بالدمع الذي انسكب من عينه، استجمع قواه ومسح دمعه، اتجه نحو الأهالي التي لا زالت متجمعة في الساحة الكبرى، اعتلى المنصة وصاح بحزمٍ:

- يا آكر، إنّ كشيم قد رحل إلى "ونب نويهص".

صمت الجميع ووجهوا نظرهم ليمار والذهول مرسوم على كل وجه.

أردف يمار:

- إنّ الأمانة التي ألقاها على عاتقنا ليست بالأمر الهين، رحل لكي ينقذنا من خبث "ونب نويهص" وليس ليستمتع بما عندهم، إنّ التهديدات التي تلقاها لم ترعبه، وإنما أرعبه هلاكنا جميعاً، وأعدكم أنني لن أدّخر جهداً لكي نرجع كما كنا، لن نسمح بفناء الإنسانية في قلوبنا وقلوب الناس أجمعين، فمن سيضحي من أجل ذلك.

هتف الجمع: سنضحي من أجل آكر.

ومن حينها والكل ينتظر ما سيتوصل له مجلس السبعة، وقدوم سليم.

أريد تقديم كل ما أقدر عليه، إنك وعالمك الذي عشت فيه هذه المدة القصيرة لم أرَ فيه غير المحبة، أتدرين هذا ما نفتقد، الناس هناك كلٌّ وهمّه، قليل منا فقط من فهم أنّ المجتمع ما وجد إلا لنكون لبعضنا البعض الملاذ الآمن الذي نلتجئ إليه كلما احتجناه، نحزن لحزن بعضنا ونفرح لفرحه، إنّ المادة هناك قد أفسدت عيشتنا الأخوية الإنسانية، فرقتنا الأنساب والأعراق والطباع، فرقتنا الاختلافات البائسة.

تجدين الشباب يقلدون أناساً تقليداً أعمى، لا يدرون ثقافتهم ولا دياناتهم، نعم لم ينجحوا في استنساخ البشر، لكنهم استطاعوا استنساخ العقول، اشتغلوا على أشخاص معدودين ليجعلوا منهم قدوة للبقية، بذلوا وسعهم وجهدهم وإعلامهم في سبيل ذلك، وللأسف قد نجحوا.

أنتم هنا يا إليل أشخاص مميزون، ولا يجب أن تفرطوا في هذا التميز، لأنكم تحيون هنا ما تمنيت أن أجده، فهناك الناس يسرقون ويكذبون ويخدعون بعضهم، يتباهون بما يملكون وإن هم إلا كأصنام متحجرة يلبسهم من سلبوا حياتهم ما يريدون، يقولون ما يملون عليهم، كأنهم قد ربطوا خيوطاً تمسكهم ويتحكمون بهم من علٍ، السبيل الوحيد هو أنتم، فقبل أن يستولي "ونب نويهص" على عالمكم كنا نتربى على ما تصنعون، فلطالما جلست الأسرة بأكملها تشاهد عملاً فنياً راقياً، وكم تأثرت بالشخصيات التي كنتم

تحدثونها، أشخاص طيبون قلدناهم فيما يفعلون، ثبتوا في ذواتنا كل جميل، جعلوا من حياتنا مكاناً طيباً يلتقي فيه الناس ويتجاذبون أطراف الحديث حول كل ما رأوا، يبدون إعجابهم بما يشاهدون حتى صار ذلك سلوكاً يلتزمون به، فإن رأينا شخصية دائمة الابتسامة محبة للغير حاولنا أن نفعل مثله، وكلما رأت النساء اللباس المحتشم الذي يصور المرأة تلك الطيبة العفيفة، التي لا تسمح لشيء أن يدنس عفتها ويفهمها أنها ما وجدت إلا للاستمتاع بها، وأنها لا تصلح إلا أن تكون تابعة لنزوات الرجال، ترسخ ذلك في عقولهن والتزمن به، وكلما رأى رجل الدين أنّ الديانات هي في مصلحة الإنسان لا غطاء يختفي وراءها من يريد أن يحقق مآربه الشخصية، فهم الرسالة والتزم بها أكثر من البقية.

إليل تستمع له بإعجاب شديد، تحدق به، تأنس في حضرته، قالت:

- إذاً ما كان يقوله كشيم صحيح، وما قام به الحكيم آكر قد حقّق مقصده.

- نعم، أنت لا تعلمين التدني الذي وصلنا إليه، صرنا كالدواب التي لا تعي، الآذان صماء، القلوب مغلفة بالسواد، الكل في حذر من غيره، الكل يجري جري الوحوش في البرية لينال ما يريد، لا تهمه المبادئ ولا ما تربى عليه إلا القلة القلة، وهذه القلة تميل تارة وترجع تارة، الموازين انقلبت حتى صار الطيب هو الخبيث، والخبيث هو الطيب، العفة رجعية تعود بنا إلى الزمن الأسود، العري انفتاح، والمتدين يشار إليه بالبنان، قد تخدعك المظاهر وما يبدون عليه، لكن السواد قد تمكن منهم، الصورة وحدها من فعلت

هذا، و"ونب نويهص" تتحمل المسؤولية كلها، ديفيد يتوسع في مخططاته، فلا تعلمين إلى أين وصل، وإذا استمر فلا محالة سيسيطر.

قالت إليل بعد أن أمسكت يد سليم:

- لن يحدث ما تفكر فيه، فمهما طغى وتجبر الظلم لا بد للحق أن ينتصر، أملنا في كل من بآكر، وبك يا ميلس، فأنت كل الأمل.

تذكر أمراً مهماً، فبادر بسؤالها:

- لماذا لم يفكر أي واحد منكم في إيجاد خطة للدخول إلى"ونب نويهص"، والقضاء على ديفيد؟

نظرت إليل للسماء، ولا نور حولهم إلا نور خافت ينبعث من القناديل التي يحملانها:

- سأجيبك يا سليم، وكشفت عن يدها، انظر.. إنّه وشم يحمله كل سكان آكر، لا يمكن إزالته، به نعرف أننا من هنا، لذلك لا يمكن أن ندخل إلى "ونب نويهص"، حاولنا قبل ذلك فأرسلنا رجالاً، وحين يكشفون أمرهم يحكمون عليهم أن يمثلوا دور الضحية في أحد الأعمال، وحتى باقي القبائل أحكم ديفيد سيطرته عليها، إلا قبيلة سانكو، ولا يمكننا طلب شيء كهذا منهم، يكفي ما يعانونه من تضييق جراء رفضهم فرض الحصار عنا، لذلك قلت لك: إنّ من يموت في فيلم ترونه فإنّه أصبح يموت فعلاً وليس تمثيلاً.

تنهدت تنهيدة من أعماقها وأكملت بصوت حزين:

- لذلك كل من يموت وتشاهدونه فإنه من قبيلة آكر، تناقصت أعدادنا حتى قرر المجلس أنّ لا محاولات سنقوم بها إلى أن نجدك.

كان الوشم هو حروف آكر منقوشة بزخارف بشكل أفقي، بالإضافة لأول حرف من اسم صاحبه، إليل وشمها: آ ك ر إ، كشيم وشمه: آ ك ر ك، يمار وشمه: آ ك ر ي، وهكذا كل الأهالي، وبما أنها منقوشة فلا تُقلب، آكر في عالم الكواليس هي آكر في كل العوالم.

أحس سليم بحزنها فأمسك يدها ليواسيها:

- لا عليك إليل، فهمت الآن، ذلك الوشم يميزكم، ما يحيرني أنك مثلت في فيلم وكدت تفقدين حياتك، فهل حاولت أن تدخلي "ونب نويهص" أيضاً؟

- نعم، لأنني لم أصبر وأنا أرى إمبراطورية الظلام تلك وهي تقضي علينا، بعد ذلك القرار، تسللت خفية عن الجميع لأدخل إلى "ونب نويهص"، كان هدفي أن أصل إلى كشيم لأنهي هذه المعاناة، وأيضاً لأنقذه، فلا تعلم مدى تعلقي به، تسللت خفية مع قوم يقدمون للسهر داخل "ونب نويهص"، لم يحس في البداية أحد بي، أقفل الباب من خلفنا ولم أدرِ إلى أين نسير، تقدمنا إلى أن وصلنا لغرفة فأدخلونا، نادى رجل ضخم أنّه لا بد من مراقبتنا، طلب من الكل أن يكشفوا على أيديهم، أحسست بالخوف الشديد وذلك ظهر على تصرفاتي فلاحظ الأمر وابتدأ بي أولاً ليكشف أمري وأحكم كمن سبقني، فرض عليّ الدور الذي شاهدتني فيه، وهو دور سأموت فيه بالنهاية، أخذوا كتابي الأثير وقلمي وكتبوا الدور، لأنهم قد حملوا كل

كتب الأثير بأقلامهم معهم لما أتوا بالجنود إلى آكر، وكلما تسلل أحدنا إلا وأخذوا كتابه وقلمه ليدونوا ما يريدون.

لكنّني تمكنت من الهروب بمشقة، مع المشهد الذي رأيت، بعد أن أنهى المخرج التصوير، طلب من الجميع أن يرتاحوا قليلاً، أدخلوني إلى غرفة وأغلقوا عليّ الباب، سنحت لي الفرصة كي أفكر بطريقة أنجو بها من الموت، خطرت لي فكرة ظننتها ستخلصني، أخذت مساحيق التجميل وخلطت بعضها ببعض، أردت أن أصل إلى لون يشبه لوننا البشري لأخفي به الوشم، حاولت مراراً وتكراراً إلى أن وصلت للمطلوب، أسرعت بتغيير ملابسي ووضعت على رأسي وشاحاً أسود، وضعت المسحوق على يدي حتى اختفى الوشم فسمعت طرق الباب، أتى آت يعلمني ببدء التصوير، خرجت ومن حسن حظي وجدت الطريق مكتظة بالمارة مجيئاً وذهاباً، أسرعت لأندس وسطهم، وضعت وشاحي الأسود عليّ حتى أخفيت وجهي، اتجهت مع النسوة اللاتي سيغادرن، وكما كان متوقعاً يراقبون حتى من يخرج، اقتربت من الباب وعليه حرس شديد، لا أخفي عليك أن نبضي قد زاد بالضعف، ولكنّني تشجعت لأتقدم، كشفت ببطء على يدي فلم يلاحظوا شيئاً، خرجت من هناك وأسرعت حتى أصل إلى آكر.

قام سليم من مكانه، صفق تصفيقاً حاراً، أحسنت يا إليل، فكرة ممتازة، وعاود التصفيق.

- لما عدت لم يكن لدينا الوقت الكثير فلا محالة سيبحثون عني، وسيجبرونني على إكمال الحلقة الأخيرة من المسلسل، حينها ستنتهي حياتي، وجدت يمار في انتظاري غاضباً، حتى أنه نهرني بعنفوان شديد: كيف تعرضين نفسك للخطر! أما سمعت قرارنا لا نريد مزيداً من القتلى، يكفي ما فقدناه.

ركضت نحو غرفتي، وطول الليل لم أنم حتى أن دمعي جف من عيني، قصدت في الصباح الباكر مجلس السبعة، اعتذرت عما صدر مني.

هالني ما قال السيد يمار:

- اسمعي يا إليل قد تمكنا من معرفة الطريقة التي سنصل بها إلى هناك.

عانقته بشدة، فأردف: ستكونين أنت من يرحل، فالخاتم يحتاج إلى إحساس لن نجده إلا عندك، ستضعينه في بنصر يدك اليسرى، هذا كل ما لدينا، والصراحة أننا لا نضمن أن ننجح إلا أننا سنحاول، الأمر متوقف عليك، ولا أنسى أن أوصيك بما أوصى به كشيم، اتبعي حدسك فلن يخذلك، أسرعي لا وقت لديك، سيصل جنود "ونب نويهص" ولا يجب أن يجدوك هنا.

ودعتهم وذهبت حيث أمروني، تجلى الباب في قمة الجبل الذي أشاروا به عليّ، فرأيت وهجاً منبعثاً من الخاتم، ظهر مكان المفتاح من اللوح الذي شاهدت سابقاً.

لما وصلت إلى عالمكم أحسست بالغربة وتهت بين كل ما فيه، أنظر كالمجنون دون أن أخطو خطوة، تذكرت حينها آكر، وما أخبرني يمار عن الحدس فأغمضت عيني، وتبعت حدسي الذي قادني إليك.

أتعلم يا ميلس، لقد كان معي كشيم في كل خطوة أخطوها، كان بجانبي مع كل همسة أهمسها، يمسك يدي قائلاً: لا تخافي كلنا معك.

- إليل، إنّ أرواحكم متآلفة، وأنا على ثقة أنكم ستعودون لما كنتم عليه، هي المحبة تصارع من أجلكم، لن ينتصر عليكم أحد، ولن تخيب آمالكم أؤمن بهذا.

- دعنا نذهب يا ميلس، اقترب الفجر ونحتاج للراحة قليلاً.

ضحك:

- وكيف علمت بذلك؟ ألا ترين أنّ السماء سوداء.

ابتسمت ابتسامة رقيقة، اقتربت من سليم فوضعت يدها على قلبه:

- لم تغب شمسنا يوماً، ولا اختفى قمرنا، إذا نبض قلبك بصدق فلن تظلم حياتك أبداً، تشرق الشمس فينا وتغرب، وينير القمر بدراً ويغيب بداخلنا، وما ترى في السماء ما هو إلا علامة على ما نحياه في ذواتنا.

- فيلسوفة أنت، كيف تعلمين كل هذا؟

اقتربا من غرفتيهما، نظرت إليل إلى سليم نظرة حانية وقالت:

- أتريد أن تعرف كيف؟ إنه الحدس يا ميلس، الحدس وحده.

افترقا على أمل اللقاء الجديد الذي سيجمعهما، دخل كل منهما غرفته ولم يناما من طول التفكير في اجتماعهما، فكل يعاود شريط ما استقر في خاطره من كلام الآخر، بقيا على تلك الحالة حتى سمعا تجمع الناس في الساحة الكبرى، خرجا مسرعين، تظاهر كل منهما باستيقاظه تواً من النوم.

- يظهر أنك نمت جيداً، فذلك ظاهر عليك.

أجابته وهي تتفوه: نعم كان نومي عميقاً، وأنت كذلك؟

- لم أحس أين أنا صراحة، ولكن أيقظني تجمهر الناس.

استقبلهما السيد يمار، وسار معهما إلى أن وصلوا للمنصة وقال بأعلى صوته:

- يا أهالي آكر، كل ما بوسعنا قدمناه، وميلس هو من سيتمم مسيرة كشيم وآكر، وكل من مات لتعود آكر نبض العالم الذي لا يصمت، ولن يصمت للأبد، والآن سنوصله إلى "ونب نويهص"، كل آمالنا معقودة عليه، ولكن دعونا نسأله سؤالاً أخيراً.

اتجه بنظره نحو سليم، وأردف:

- هل أنت مستعد فعلاً للمهمة التي جئت من أجلها؟

- لا، فأنا أحب أمي وأبي وإخوتي، أريد أن أكمل دراستي لتفتخر بي عائلتي، لا يمكن أن أستغني عن حياتي بهذه السهولة.

ذهلوا، لكن سليم تعالت ضحكاته وهو ينظر للوجوه الشاحبة، فاستغربوا.

- لماذا تسألونني؟ فلماذا أتيت إلى عالم الكواليس إذاً؟ هل أرغمتني إليل على المجيء؟ وهل اقتادتني بالسلاسل إليكم؟ لقد قبلت عن طيب خاطر، نعم فلا أنكر أن ما حدث كأنه حلم سأستيقظ منه قريباً، لم أصدق ما قالت منذ البداية، ولكن ها أنتم أمامي، وهذا عالم الكواليس الذي كنا نظن أنه ما نراه عندنا، وها هي حياة ما نشاهد أعيشها.

قبض راحة يده ورفعها للسماء:

- فلنفعلها يا أهالي آكر.

دوى في الأرجاء صوت الجميع، هاتفين باسمه: ميلس، ميلس، ميلس.

اقتربت منه إليل، ابتسمت:

- أنت لها.

اقترب منه يمار، احتضنه بشدة:

- هيا، اذهب إلى غرفتك، سألتقيك أنا وإليل بعد قليل، سنرافقك لكي نرشدك للطريق.

- حسناً.

قصد سليم الغرفة وأغلق الباب، جلس على كرسي واضعاً يده على رأسه "ها أنت يا سليم قد اقتربت من لحظة النهاية، اشتقت لأمي وطيبتها وحنانها، ولأبي وخوفه عليّ أن أهيم مع ما أشاهد وأنسى حياتي الشخصية، وشقاوة أخي الصغير وظنه أني مجنون، اشتقت لعالمي الذي أتمنى أن يعود لسابق عهده، عالم الكواليس عالم رائع، يختفي عنا ولكنه ظاهر في كل حياتنا، وهم

الآن ينتظرونني لأخلصهم من ذلك الملعون ديفيد، ولن أخذلهم مهما كلفني الأمر".

سمع مناداة إليل:

- ميلس سنغادر الآن.

وجد إليل ويمار في انتظاره، بدؤوا مسيرهم سيراً على الأقدام في اتجاه "ونب نويهص".

قال السيد يمار:

- سنسير قرابة اليوم الواحد إلى أن نقترب منهم، بعدها ستكمل وحدك، كل ليلة يتوافد الناس على "ونب نويهص" من مناطق متعددة ليسهروا، وفي الصباح ويغادرون، ستندس وسطهم وتدخل كأنك معهم، ولا تبدِ خوفك فلن يشكوا فيك، ستحاول أن تتغلغل في كل تجمع، تنصت لما يتداولونه لتعرف أين يضعون كشيم، فكر في طريقة حينها تتقرب بها إلى رئيس الخدم، لأنه كما أخبرتني إليل هو المسؤول عن كل شيء، ويحب من يمدحه ويبدي ولاءه لديفيد فهو صديقه المقرب ويده اليمنى.

تدخلت إليل:

- سيقدمون لك الخمر فلا تقربه، سيغادر الناس صباحاً، فهم لا يقبلون بأن يظلّ الغرباء عندهم إلا من قدّم طلباً خطياً لرئيس الخدم، فيقبل من يريد منهم، ستقدم طلب البقاء، ولن أعلمك كيف تكتبه فأنت أدرى.

وهم يتجاذبون أطراف الحديث، اقتربوا من "ونب نويهص" بعدما ساروا قرابة العشرين ساعة، يجلسون بين الفينة والأخرى للاستراحة وتناول بعض الأطعمة التي حملوها معهم.

إنه وقت رجوع إليل ويمار، نهاية مسيرهما مع سليم.

وقفوا مختبئين وراء شجرة كبيرة، أشارت إليل لسليم:

- انظر، هذه "ونب نويهص"، من ذاك الباب ستدخل، ستظل خلف هذه الشجرة إلى أن ترى حشود الناس متجهة إلى هناك فتدخل معهم.

نظر سليم إلى ذلك الباب، وحان موعد توديعهما.

وقفا أمامه، أمسكت إليل يده اليسرى ويمار اليد اليمنى، عيونهم مركزة على بعضهم، قال يمار:

- نتمنى لك التوفيق، كل آكر معك.

عانقاه وانصرفا، التفتت إليل وقد ظهر عليها القلق:

- سأفتقدك ميلس.

ابتسم:

- لا تخافي سأجعل الشمس تشرق من ذواتنا إلى السماء.

اتخذ سليم خلف الشجرة وضع المحارب الذي ينتظر الإشارة للبدء بالهجوم، مركزاً على كل ما يجري قرب الباب، يحوم بعينيه حول الأرجاء تارة للخلف وتارة للأمام، ويميناً ويساراً، وحتى إلى السماء، بقي كذلك حتى سمع جلبة أصوات أناس قادمين من الخلف، التف على الشجرة مراقباً الجموع المتجهة إلى "ونب نويهص".

ها قد اقتربوا بمشيتهم المترنحة، الظاهر أنّهم كانوا مخدرين لا يعلمون أين هم سائرون، ولكن أرجلهم تعرف الطريق جيداً، يغنون أغانٍ حماسية، يحتاج الآن للفت انتباههم، التجأ للطريقة التي لا تخفى عليه، فلطالما شاهد أبطال أفلام فعلوا ذلك، أخذ حجرة صغيرة ورماها إلى الجهة المقابلة له نحو السماء لتحتك بورقات الشجر فيسمع لها خشخشة، التفتوا جميعاً ونادى أحدهم من؟ استغل الفرصة فانسل وسطهم، لا يعرف جميعهم بعضهم البعض، فقد كانوا من مناطق مختلفة، يلتقون في الطريق وهذا ما عرفه سليم من إليل، أكملوا طريقهم وسليم معهم، استمروا في غنائهم الصاخب "الحياة خلقت لنا، فلنستمتع إذا بها، كلنا فداك كلنا فداك، ديفيد أنت زعيمنا"، يكررون هذه الكلمات.

حدث سليم نفسه: "ديفيد استحوذ عليهم، إنّهم الآن بلا عقول، إنّ خطره يتوسع وما خفي أعظم، يصير الكل بلا فكرٍ مقلداً مستنسخاً ليس إلا" فاجأه وقوفهم، اقتربوا منه، قال أحدهم:

- لماذا أنت صامت؟ ألا يعجبك ما نغني؟

- أجابهم بصوت مرتجف:

- إنه يعجبني، ولكني شردت قليلاً.

- اترك الشرود وعش حياتك يا أبله، أنت خلقت لتستمتع بكل ما تريد.

أخذ بيده وأكملوا الغناء، أما سليم فقد كان يصدر من فمه الصوت كأنه يغني حتى حفظ الكلمات.

بدأت المسافة التي تفصلهم عن "ونب نويهص" تتقلص، الجموع تزيد من حدة صوتها، حتى وقفوا، سأل سليم أحدهم:

- لم توقفتم؟

فأجابه مترقباً: ننتظر الإذن، أترى ذلك الأنبوب الظاهر- وأشار له إلى فتحة في الباب- لا بد أن يندفع منه الماء قبل أن نلج المكان، ولا بد لكل داخلٍ أن يغتسل به، اقترب من أذنه ليهمس له في حذر: لقد علمنا أنّ شابة من آكر قد خدعتهم لكي تخفي الوشم من يدها، لذلك من يومها وهم يفعلون ما ترى.

إنها إليل، صاح سليم دون أن يشعر، رمقه الرجل بتعجب: هل تعرفها؟

فكر بسرعة كيف يجيب ليخرج من هذا المأزق.

قال وهو يقهقه: قصدت إنه الليل قد حل، وقريباً سيبدأ المرح، فلتحيا "ونب نويهص"، وأخد بيده ليرفعها إلى السماء.

- نعم، يحيا ديفيد.

"لا بد أن أكون أكثر حذراً واحتياطاً، هنا لا مكان للخطأ".

فتح الباب بعد أن تبلل الجميع بالماء، دخلوا، فقادهم رجل إلى حيث أخبرته إليل، إلى غرفة ليراقبوهم، أتى الرجل الضخم فطلب منهم أن يصطفوا، يبدأ بالأول إلى الذي يليه إلى أن وصل دور سليم، كان سليم لا يزال يحفظ أغنية القوم، أخذ يغنيها لكي يستريح من حديث نفسه المتعب، كذلك ليزيل القلق عن محياه، اقترب شيئاً فشيئاً منه، فاستوقفه الرجل:

- من أي قبيلة أنت يا هذا؟

هنا صمت سليم ولم ينبس ببنت شفة.

دنا منه أكثر:

- لم تجبني من أين أنت؟

سليم لا يعرف أسماء المناطق، إلا ما ذكرت له إليل، سانكو، فقال بسرعة سانكو.

ولكن بعد أن قالها تذكر أنها القبيلة التي لم تفرض حصارها على آكر، إذا هم أعداء لهم.

اقترب منه الرجل الضخم ووقف محدقاً به:

- إذاً أنت من تلك القبيلة الطاهرة التي لم تبع ضميرها لديفيد الخبيث.

رفع سليم صوته قليلاً:

- لا أسمح لك بالإهانة يا سيدي، كيف تتحدث عن زعيمنا هكذا؟ إنه أشرف من أن تنعته بالخبيث، فليحيا ديفيد الزعيم فليحيا.

صاح الناس الذين بعده فليحيا ديفيد الزعيم.

- لماذا تركت سانكو وأتيت إلى هنا؟

- لأستمتع بالحياة التي ما وجدت إلا لنستمتع بها سيدي.

رفع الرجل يده، وهو إذنٌ له بالمرور، ابتعد مع إشارته الحرس الذين يقفون صفاً أمام الجموع:

- هنيئاً لك، اذهب واستمتع بوقتك.

انصرف سليم متجهاً إلى الداخل، غيّر ملابسه المبتلة بأخرى معدة للزوار.

سار إلى ممر طويل يدخله إلى وسط "ونب نويهص" فهاله ما رأى، إنها كمدينة الأحلام، البنايات عالية، واجهاتها من الزجاج المزركش، الطرقات ملونة بألوان زاهية، الكل يلبس لباساً أنيقاً، يركبون السيارات الفاخرة.

لم يتحرك سليم خطوة فشتان بين ما رأى لأول مرة في آكر وتلك العيشة البدائية التي يعيشون، وبين ما يشاهده أمام ناظريه، تحركت شفتاه بعد الصدمة التي أصابته: إنّه السحر فعلاً.

التقى سليم بالرجل الذي حدثه في الخارج، فالرجل كادت عينه أن تقع من الدهشة، قال لسليم:

- انظر، إنه السحر يا هذا، آه نسيت ما اسمك؟

- ميلس.

- ولو أنه اسم غريب ولكنه جميل، هنا الحلم يتحقق يا ميلس، هنا رقي الحضارة حيث لن تجده في أي مكان آخر، أنا صديقك هوكو.

- تشرفت بك هوكو.

تعجب سليم لانبهار الرجل، رد عليه:

- الإنسان من يبني الحضارة وليس العكس، وإنما تردت البشرية وتقهقرت بسبب العبث بهذا الأصل.

- كلامك غريب يا ميلس، كأني أسمع الطلاسم.

- كلامي ليس غريباً، الطلاسم هي التي في عقولكم، إنّ ما نشاهده نحن من نبنيه، فأين الأصل هل هو نحن، أو المحدث الذي يمكن أن ينهار بهزة أرضية تخسف كلّ ما ظننا أنه الحضارة، الحضارة في أنفسنا يا هوكو.

- دعنا من طلاسمك، وهيا بنا.

- إلى أين؟

- سنقصد حانة نمكث فيها إلى أن يحين وقت السهرة، سنشرب الخمر ونرى النساء الجميلات.

سمع صوت إليل وهي توصيه أن يتغلغل معهم، وأيضاً وصيتها بألا يشرب الخمر فقال بحماسٍ:

- هيا يا هوكو، هيا لم الانتظار إذاً.

الموسيقى صاخبة، الكل يتراقص مع رقصات النسوة شبه الكاسيات في المنصة، النادلون في حركة دائمة لا يتوقفون، ذهاباً بقارورات الخمر الفارغة، ومجيئاً بالقارورات الممتلئة، الرجال هائمون ولا يدرون أين هم.

رحّب بهما حارس الحانة، أشار إلى القيم ليرشدهما إلى مائدة فارغة، اتجها نحوه، رحّب بهما بوجه بشوش:

- ها هو مكانكما، استمتعا بوقتكما، هنا كل شيء مجاني، أستأذنكما بالانصراف.

شكراه على حسن الضيافة.

طاف سليم بعينيه حول المكان، فشدّه وجود الأطفال أيضاً، إنهم يتربون على هذه العيشة من الصغر، لذلك يصعب عليهم الانفلات من سطوة ديفيد، وتراءى أمامه أطفال عالمه لما يطردهم الشيوخ من المساجد للعبهم فيه، وحين يخطئ أحدهم في أداء الصلاة كما يجب لجهله كيفية أدائها، فيكبرون كارهين ذلك المكان المقدس بسلوك هؤلاء.

اقتربت منهما إحدى الراقصات، أشاح سليم بصره عنها، لكنه كلما أعرض عنها وضعت جسدها أمامه، تخلص منها بأن همس في أذنها: اذهبي الآن ولنلتقي حين يرحل الجميع، فصديقي أوصاني ألا أفتن بالنساء، وقد وعدته بأن أجلس معه دون مغازلة أي منكن.

نظرت نحو هوكو فوجدت فمه مفتوحاً، وقالت لسليم:

- سنلتقي بعد أن تتخلص من هذا الأحمق.

ضحك سليم بعد أن قام من مكانه: لا عليك إنها ثملة، قلت لها إنّك لا تشرب الخمر، ربما عندهم هنا أنّ من لا يشرب الخمر أحمق.

بدا على محيا هوكو الغضب:

- من قال لك إني لا أشرب الخمر، إنني عربيد يا ميلس، أتفهم ما معنى عربيد؟

رد سليم ببلاهة:

- لا، أرجوك وضح لي معناها.

قام هوكو من مكانه وبدأ الشرح لسليم:

- العربيد هو ألا تنفك عن شفتيك زجاجة الخمر الحمراء -أخذ الزجاجة وألصقها بشفاهه - حتى تصبح كالحبل السري الذي لا ينفك ملتصقاً بالجنين حتى يولد - أسقط الزجاجة على الأرض فانكسرت - نظر للأسفل وأشار إليها:

لقد انفصل الحبل السري وولدت أنا إنها الحياة يا ميلس، الحياة الحقيقية - بدأ يتمايل بجسمه، يسقط تارة على الأرض وينهض كالمصاب تارة - لا تدري بعدها أأنت في الأرض أم في السماء، كل ما في الكون يتحرك حولك وأنت الثابت فقط، تتملكك أرواح الفلاسفة والحكماء، تتقلب من روح إلى روح حتى يجف اللعاب من لسانك، تستيقظ لتجد نفسك مدفوناً في قبرك بملابسك، تقوم كأنك قد بعث من جديد.

صفق سليم بصدق:

- أحسنت الوصف وأسأت اتصافك به.

- شكراً رفيقي، ولكن اتركني من مثاليتك التي ستفسد علينا السهرة، اتركني أعربد.

أنهى هوكو كل الزجاجات التي أمامه، احتساها كإسفنجة تشربت بالماء فأثقلت، طلب أخرى وأخرى إلى أن وصل لما وصف به سليم وقال:

- أتعلم يا ميلس، إنّ ديفيد هذا رجل عظيم، كلنا نحبه، يرحب بنا ويمنحنا السعادة التي نفتقدها، الكل يتوق للمجيء هنا، ننتظر بشغف لنكون في عالم الأحلام الذي يعيشنا فيه، لا نثق بأحد أكثر من وثوقنا به، حمداً للسماء أن أحكم قبضته على قبيلة آكر، إنهم قوم بؤساء يريدون خدمة العالم بالتفاهة التي كانوا يشتغلون فيها، الناس تحب أن تطلق العنان للنفس أن تفعل ما تشاء ووقتما شاءتْ بعيداً عن قيود الديانات والأعراف والمبادئ البائسة، لقد زرت آكر وشاهدت الحياة المزرية التي هم فيها، أي علم وأي مبادئ سأهتم بها إن لم أحقق سعادتي الدنيوية، ستنتهي دورة حياتي لأدفن تحت الأرض، يأكل لحمي الدود وأفنى، ولن أحيا حياة أخرى هذا ما أنار به ديفيد عقولنا.

يضحك سليم تارة، ويبدي إعجابه بكلامه تارة أخرى، ويحدث نفسه لما تختنق روحه: "تباً لك ديفيد لقد أفسدتهم".

بقي على تلك الحال مراقباً لكلّ ما يدور في الحانة حتى دخل رجل متأنق ومعه حرس كثر، يحيّي الناس ويحيونه.

قال سليم لهوكو:

- من هذا الرجل؟ الواضح أنه ذو مكانة رفيعة .

- ألا تعرفه إنه رئيس الخدم أكيرما، اليد اليمنى لديفيد، - وقام من مكانه ليصيح - يحيا أكيرما...

- إذاً هو، لا بد أن ديفيد يحبه كثيراً.

- نعم، فهو كما علمنا من يرسم خطط ديفيد، وهو من أوقف امتداد آكر بأن دس عملاء له بينهم حتى كشفوا سرهم، إنهم يحتجزون عقلهم المدبر كشيم في الغرفة السوداء - همس لسليم - لا تخبر أحداً بهذا إنه سر فهمت.

أجاب سليم وهو لم يشح بصره عن أكيرما:

- لا تخف صديقي، فالسر لا يذاع.

قام سليم من مكانه، تقدم مقلداً مشية السكارى، بخطوات متباطئة اقترب من أكيرما، أمسك بيده، تقدم الحرس ليبعدوه، فقال بفم متراخٍ: دعوني أريد السيد أكيرما العظيم.

سمع أكيرما كلمة العظيم فابتهج، أشار إلى حرسه:

- ابتعدوا، هيا اقترب يا هذا.

دنا سليم منه وقال ببطء:

- يا سيدي، أنا من سانكو الغبية بسكانها ورئيسها، أريد أن أظل عندكم، أرجوك لا أريد مغادرة هذا المكان.

- إنك أول زائر من تلك القبيلة، اكتب طلبك وسأنظر في الأمر.

صاح سليم، وأذرف من عينيه الدمع:

- شكراً لك سيدي، سأكتب الطلب وسأنتظر ردك على أحر من الجمر، يحيا السيد أكيرما العظيم.

عاد سليم إلى مكانه، قابله هوكو في ذهول:

- ماذا قلت له يا ميلس؟

- لقد أخبرته أني أريد البقاء، ألا تريد أيضاً ذلك؟

- بلى، لا يوجد من لا يتمنى البقاء في مدينة الأحلام، هذه المدينة التي لا يوجد لها مثيل.

تملكت هوكو الأرواح التي قال لسليم، فاستوقفه:

- كفاك تغنٍ، أعلم كل ما تنوي قوله.

بدأت الأجراس تدق إيذاناً باقتراب الوقت المنتظر، لحظات الاحتفال وترك المجال للنفوس أن تفعل ما تشاء بدون أية قيود، عربدة وفساد وتسلية.

قام الجميع من مقاعدهم، انطلقوا، منهم من يزحف، منهم من يمشي على ركبه، ومنهم من كاد يطير، كلهم متجهون إلى الساحة حيث يطل عليهم ديفيد ليلقي على مسامعهم سحره.

نهض هوكو متهاوي القدمين، طلب من سليم أن يسنده ليلتحق بالبقية، سارا والجموع تهتف وتغني وترقص وتهلل، النساء في صفوف طويلة

متقابلة، كل شيء جاهز البالونات الكبيرة الملونة، ورجال الحرس طوقوا المكان.

يتظاهر سليم بأنه سكران أيضاً، يهتف كهتافهم بفمٍ متراخٍ، إلى أن توقف الجميع ونظرهم مصوب نحو منصة في برج عالٍ، إنها لحظة ظهور ديفيد، بدأت الطبول تدق، وموسيقى غريبة قد أزعجت أذن سليم.

أطل ديفيد فتهللت الوجوه، تسمرت الأجساد إلا من هتافهم "يحيا ديفيد الزعيم"، أما سليم فيتأمل جيداً هذا الرجل جاحظ العينين، طويل الشعر، وقد صففه بطريقة متناسقة، يضع على رأسه تاجاً ذهبياً، كل أصابع يده قد زينت بالخواتيم المرصعة بالماس، لباسه حريري كثير الألوان، حركاته كأنثى متغنجة تغرس سهامها لكل من يختلس النظرات نحوها، يده مرفوعة بانحناء كالتي تحمل حقيبة يد تريد أن يرى الكل مجوهراتها، وجهه أبيض بالمساحيق، جفونه وحواجبه ليست كالتي عند الرجال.

ذهل سليم وتمتم في دواخله: إنه مسخٌ، كيف لهذا المخنث الخبيث أن يفسد حياة الناس.

بدأ ديفيد خطابه بصوت غليظ لا يمكن تصوره من هيئته:

- مرحباً بكم جميعاً عندي، اعلموا أنكم جد محظوظين كونكم هنا، لأنكم لن تجدوا مثيلاً لـ"ونب نويهص" أينما ذهبتم، هنا أحلامكم تتحقق وهمومكم وغمومكم تنجلي، هي حياة واحدة لا غير فلا تدعوا من يسوس عقولكم ليفهمكم أن حياة أخرى تنتظركم لتحاسبوا على ما

قدمتم، أي عاقل يُخدع بمثل هذا الهراء، أنا أمامكم زعيمكم، انظروا حولكم كلّ خدمي يرعونكم ويقدمون لكم ما تشاؤون، فقط ما أريد منكم هو أنتم، أن تفسحوا لي المجال في ذواتكم لأزرع فيكم ما كنتم تحتاجون، أن تتجردوا من كل التقاليد والمبادئ والأعراف والديانات التي تجثم على صدوركم.

ينظر سليم حوله فلا يرى إلا الموتى يراقبون ويهتفون ويتفاعلون مع كل ما يقول ديفيد، الخدم يطوفون لتقديم الحلوى والمشروبات الكحولية، الكل يأكل ويشرب بنهم والفرحة ظاهرة على محياهم.

يكمل ديفيد:

- إنّني حاربت آكر من أجلكم، لأنهم يريدون أن يجعلوا منا أناساً مثاليين يكبتون كل ما يريدون من أجل مشاريع حمقاء يقولون إنّ نفعها عظيم على البشرية، فهل ما قدمت "ونب نويهص" حتى الآن أحسن أم ما كانت تقدم قبيلة آكر؟

رد الكل:

- "ونب نويهص" يا زعيم.

تعالت ضحكات ديفيد الخبيثة فرحاً بما سمع، وأردف:

- لذلك سأستمر حتى تخضع كل العوالم لي، استمتعوا بليلتكم، وحتى لا أنسى نحتاج بعض العاملين منكم لمساعدتنا في الأعمال التي نصورها، كل من وجد في نفسه القدرة على العمل معنا فمرحباً به، سنجري غداً مسابقة

لننتقي الأحسن منكم، سأترك أكيرما رئيس خدمي يشرف على ذلك، طابت ليلتكم جميعاً.

غادر ديفيد المقصورة أعلى البرج، انطلقت الألعاب النارية في السماء، تعالت أصوات الموسيقى الصاخبة وبدأ الناس يرقصون رقصات غريبة، يصطفون في صفوف متراصة ويسقطون على بطونهم، يرفعون أياديهم وأرجلهم ويزمرون بأفواههم، لتأتي النساء فتجلس فوق ظهورهم كالراكب فوق صهوة الحصان.

بدأ سليم بالتجول بين الأرجاء يراقب كل شيء والدمع كاد يخونه لينزل من هول المنظر، إنها البشرية تحتضر، يختفي بين الجموع لئلا يلفت الأنظار، اقترب من موضع ليجد صفاً طويلاً، سأل آخر من في الصف:

- لماذا أنتم هنا؟

رد عليه ووجهه قد تألق فرحاً:

- ننتظر دورنا لنسجل أسماءنا في المسابقة التي قال ديفيد الزعيم.

فكر سليم ملياً: قد تكون هذه فرصة ذهبية للبقاء هنا ومعرفة خبايا هذه القبيلة، لذلك سأقدم نفسي للمسابقة.

ظل سليم ينتظر دوره وما بقي أمامه إلا رجل واحد، إنه دوره، وجد امرأة فاتنة الجمال هي المسؤولة عن تسجيل المتقدمين، قالت بصوت رقيق:

- ما اسمك؟

- ميلس سيدتي.

- من أي قبيلة أنت؟

- سانكو اللعينة.

ما إن سمعت قبيلة سانكو حتى تمعّر وجهها، طلبت من سليم الانتظار حتى ترجع، قصدت مكتباً كبيراً، دخلت إليه، بعد برهة خرجت لتتقدم نحو سليم قائلة في ارتجافٍ:

- تفضل معي، أكيرما يريد مقابلتك.

قلق سليم من الأمر بداية لكنه تشجع وتبعها، وصلا للباب، وقفت السيدة وأمرته بالدخول.

دخل سليم للمكتب حيث يوجد أكيرما، أمره أن يجلس.

- لماذا أنت هنا؟ أجبني بصدق، لأنني لو علمت أنك تكذب لدفنتك حيّاً.

- لقد أخبرتك سيدي في الحانة عن سبب مجيئي، أريد تقديم ولائي لديفيد الزعيم، أريد أن أبتعد عن بؤس سانكو، لقد نصحتهم أن يتبعوا رأي ديفيد لأنه على صواب دائماً، لكنني عانيت الويلات بسبب جرأتي التي ظنوها موالاة للفساد كما يقولون.

- ولماذا تريد مشاركتنا فيما ننتج، ألا ترى أنها رذائل قد تهلك فطرة وعقل كل من يدمن على مشاهدتها؟

- لا سيدي، فالرذائل هي ما كنا فيه، ترى الناس فقراء لا يكادون يجدون قوت يومهم ولا زالوا متشبثين بحماقتهم، والنساء لا يغادرن بيوتهن كأنهن ولدن من بطون أمهاتهن لتحبل بهن منازلهن، فلمن وجدت زينة الدنيا إذاً؟

- أحسنت القول يا ميلس، إذاً أنت منا.

قال سليم مصدوماً:

- أتعرفني سيدي؟

ضحك:

- نعم عرفتك الآن، فبطاقة اشتراكك أمامي قدمتها المسؤولة عن تسجيلكم، هيا يا ميلس، انصرف الآن وفي الغد تعالَ من أجل المسابقة، ولا تنسَ كتابة طلبك للبقاء في "ونب نويهص".

- حاضر سيدي العظيم المبجل أكيرما.

غادر سليم المكتب، قصد المسؤولة عن التسجيل فطلب منها ورقة وقلماً، أعطته ما أراد، جلس للتفكير في الصيغة المناسبة ليقبل الطلب، تذكر كلام إليل بأن أكيرما يحب الإطراء، فابتسم وحمل القلم:

"إلى السيد المبجل، عظيم السمعة، شهم الصفة، جميل السيرة، وحيد زمانه الذي لن تنجب الحياة مثله، فكل الناس لها أشباه، إلا أنت لا وجود لشبيهه، أكيرما فخر "ونب نويهص"، وبعد:

أتشرف أن أتقدم بطلبي لكم راجياً منكم قبوله كي أكون جزءاً من هذه الأرض العظيمة "ونب نويهص"، وخادماً لكم ولزعيمنا وقائدنا ديفيد، فلا مكوث لي بعد الآن في قبيلة سانكو بعد مخالفتها أوامركم بعدم فرض الحصار على آكر الحمقاء، لذلك ألتمس منكم أن أكون تراباً تدوسونه على أقدامكم ولي الفخر والشرف بذلك".

خادمكم ميلس.

وقع طلبه وقال: عذراً يا آكر، شرٌ لا بد منه.

سلم الورقة للسيدة وابتعد ليطوف حول الساحة، إنّها الجثث مرمية في كل مكان، أنهكت قواهم ليغط الكل في سباتٍ عميقٍ، لا يمكن أن يظل متيقظاً لوحده وإلا سيراه الرجال الذين يتفقدون الساحة، توسط الجمع ليستلقي على ظهره كأنه جثة أيضاً، بصره على تلك السماء السوداء.

سمع مناداة باسمه فتنبه، رفع رأسه بسرعة فإذا بإليل تنظر نحوه، مدت يدها إليه فحملته حتى قام، ركضا حتى ابتعدا جارج ونب نويهص.

- يا ميلس لمَ أنت خائف؟ لقد كنت أراقبك طول الوقت، ألم تشعر بوجودي؟

- لا لم أرَك.

- ما يجب أن تؤمن به أننا جميعنا معك، لن نتركك ولو للحظة، انظر حولك ماذا ترى؟

- مرحباً يا ميلس، ما زلنا معك لم نغادر.

- غير معقول، أنت هنا يا سيد يمار.

- نعم، هذه معركتنا جميعاً، ولن ندعك تكافح وحدك، انظر خلفك هذه أهالي آكر قدمت أيضاً، سنشن هجومنا الآن.

- ولكن كيف سنقضي عليهم؟ إنهم يفوقوننا عتاداً وعدة.

قالت إليل:

- لقد أخفينا عليك أمراً، إنّ كلّ من في آكر لديه قدرات خفية وسنريك بعضاً منها الآن، كنا نحتاجك أنت، أخفينا عليك الأمر لكيلا يبدو عليك الارتباك.

تقدم أحدهم، رفع رأسه للسماء، صرخ صرخة مدوية أغلق معها الكل سمعه، بدأ نور متوهج ينبعث منه.

دهش سليم، قال متمتماً:

- ما هذا يا إليل، ألن تنتهي عجائبكم؟

- إنها قوانا الخارقة.

تبدّى أمامه رجل صار أكثر ضخامة بعضلات مفتولة، يحمل ترساً وسيفاً براقاً، لباسه كله من حديد أحمر.

- كيف لكم هذه القدرات ولم تهزموا "ونب نويهص" منذ زمن بعيد!

- كنا نحتاج لقائد يا ميلس، لا نتحول إلا وأنت معنا، لن يقف أمامنا أحد الآن، هذا هو سر آكر.

تجمعوا في مجموعة واحدة، وقف سليم في بداية الصف وصار الكل على ما أصبح عليه الرجل الأول، حتى إليل ويمار، تقدموا بخطوات ثابتة صارخين: المجد لآكر.

دنوا أكثر فأكثر من باب الدخول لـ"ونب نويهص"، رفعت إليل سيفها وبضربة واحدة هُد الباب أمامهم، فزع سليم من الأمر فثبتته إليل قائلة:

- هذا أبسط شيء، فقوانا أكثر من ذلك، نحتاجك ميلس تشجع.

- حسناً، هيا بنا.

تقدموا فتنادى الحراس مطلقين صافرات الإنذار، جهزت فرق الدفاع أسلحتهم، رماح مشتعلة، سيوف مهندة، وسهام غمسوها في السم، هربت الأهالي التي أيقظتها صافرات الإنذار، احتموا في بيوتهم، وأطلوا برؤوسهم من النوافذ، أما الزوار فقد ركضوا من دون وجهة.

تقدم أكيرما فصعد أعلى البرج، أمر بالهجوم، رمى الرماة سهامهم ورماحهم نحو المتقدمين من جيش آكر، رآها سليم متجهةً نحوهم فظنّ أنّها النهاية حتى سمع السيد يمار يقول:

- تحضروا للصدّ.

اصطف صفٌ متراص في المقدمة وحملوا تروسهم فجعلوها كالباب الواحد، ما إن اقتربت السهام والرماح حتى اندفعوا للأمام لتعود بالعكس على جيوش "ونب نويهص"، غرست في أجسادهم فخروا على الأرض مقتولين.

بدا الفزع على أكيرما، أمر بالسيافة لكي يتقدموا للقتال، أمرت إليل رجالاً يحملون سيوفهم البراقة لكي يتجهزوا، وما هي إلا ثوانٍ حتى صرعوا سيافة أكيرما، هتفوا: المجد لآكر.

اقترب سليم من يمار وإليل:

- ماذا أفعل الآن؟

رد يمار، سنغطي طريقك واذهب للبحث عن كشيم.

- سأبذل قصارى جهدي، تمنوا لي التوفيق.

- بالتوفيق ميلس، نعتمد عليك.

أعطته إليل سيفاً، وانطلق.

تسلل إلى أن دخل للقصر، التقى بأكيرما حاملاً سيفه:

- إذاً أنت خائن ولست من سانكو.

- لا، أنا من آكر يا مغفل.

- سبق وأن قلت لك إنّي أدفن من يكذب عليّ حيّاً، وهذا ما سيحدث لك.

- إذاً فقاتلني، ولنرَ من سيموت منا.

بدأ قتالهما، ولو أنّ أكيرما كان أقوى من سليم في البنية، لكنّه كان أقوى منه عزماً على الانتصار، لم يدم القتال طويلاً، فقضى سليم على أكيرما بأن غرس السيف في بطنه.

أكمل سليم سيره إلى أن عثر على الغرفة السوداء، إنه قبو القصر، لكنّه تفاجأ أنّ باب الغرفة مفتوح، دلف إليها في حذرٍ، فأغلق بابها وأنارت، إنه ديفيد الخبيث مستلقٌ على السرير.

- أهلاً بك ميلس، سعدت بلقائك.

استغرب سليم:

- وكيف عرفتني؟

رسمت على وجه ديفيد ابتسامته الخبيثة:

- ألم تعلم أنني شيطان يا ميلس، أنا أعرف من أين أتيت، لم تكن تدري أنك دخلت متاهة لا يخرج أحد منها حيّاً، قدرات آكر الضعيفة لن تؤذيني،

للأسف خسرت معركتك الشريفة التي جئت من أجلها، نادى حراسه: أمسكوا به.

أخذوه بقوة إلى حيث يجتمع الناس، الأصوات ترتفع: اقتلوا الخائن اقتلوه.

يا ترى كيف حال آكر، اشتقت إليهم كثيراً، ويا ترى هل نجحوا في مهمتهم أم لا؟ بالرغم من أني واثق في عزمهم على الوصول للغاية المنشودة.

أسند ظهره للحائط رافعاً رأسه.

لا يمكن أن تظل الأوضاع على النحو الذي تسير عليه، ديفيد يتمدد نفوذه، إنّ أفكاره إذا انتشرت ستقضي على الجميع، سيصبحون كالآلة المبرمجة وهم لا يشعرون، إن ما تراه عيونهم سيسري شيئاً فشيئاً ليستقر في عقولهم وقلوبهم، كل فكر خبيث منه سيزيل فكراً حسناً ترسّخ بما تلقوه من تربية آبائهم ومعلميهم ومن ساهم في إنشائهم النشء الطيب، نحن الآن في زمنٍ لم تعد الأسرة وحدها تربي، زاحمهم شركاء عدة، وأول هذا الشريك ما تتلقاه أعينهم من دنس يقلل حياءهم، وفكر يغرس في نفوسهم الانهزامية أمام كل ما يواجهونه، ستضعف نفوسهم وستسكين راضية بما يظنون أنه أقوى من إرادتهم، ستعم الفوضى في ذواتهم، وما يريد أعداؤهم إلا العبث والتساهل في كل شؤون حياتهم - قام مقترباً من قنديله المنبعث منه نور طفيف - ستظلم حياتهم ولن يجدوا من يرشدهم حتى إلى مقدار ما ينير حولي، كما فعل بعالم الكواليس، ظلام في ظلام لا أدري متى سينجلي، أرجو أن يسابق أهالي آكر الزمن وخاصة مجلس السبعة ليجدوا الشاب المطلوب، فقد يكون الشمس التي ستشرق من جديد باعثة أنوارها

الذهبية للقلوب اليائسة، ولو أنّ ذلك صعب، حتى إن أتى فديفيد يحكم قبضته على كل من بـ"ونب نويهص"، الكل خانع أمامه وأي غريب سيكتشف أمره، ولكنني أتمسك ببصيص الأمل الذي لا أريده أن يغيب عني كي أكمل عهد آكر، ولا شك سيجد الطريقة المناسبة للوصول إليّ.

خلع قبعته ونظارته مستكيناً وقد أعياه طول التفكير، تمدد على الأريكة، سمع صوت نعال حرس ديفيد، فتح أحدهم الغرفة، دخل ديفيد متبختراً في مشيته وقال لكشيم بعد أن رآه مضطجعاً:

- أترى؟ ها أنت مرتاح في بيتك الجديد، ألا ترى أنك صرت إنساناً أخيراً.

بقي كشيم على الوضعية التي هو عليها دون أن يلتفت إلى ديفيد كأنّه غير موجود، دنا منه ديفيد وجثا على ركبتيه هامساً في أذنه:

- ستبقى حياتك محصورة بين ساحة التصوير وهذه الغرفة، ألا تحس بنفسك تريد الفرار خارج القضبان التي حبستها فيه؟

ضحك كشيم دون أن ينظر لديفيد:

- إنني لا أحيا حياة واحدة، بل حيوات كثيرة، كل من عرفت وقدمت له يد المساعدة تركت فيه شيئاً مني، سأفنى أنا وسيذكرونني كما أتذكر الآن الحكيم آكر، لأنّ من يهب نفسه للآخر لا يموت يا مغفل، وأنا أفضل البقاء على هذه الحال ما حييت، على الأقل أنا من اختار ذلك، وليس مثل نفسك الخبيثة التي طغت وتجبرت عليك لتجعلك خادماً لجبروتها ونزواتها.

بدا على ديفيد الانفعال:

- كلامك لا ينفع في شيء، هراء لا يصدقه أحد، ولو شئت لأتيتك بكلّ من يعيش في "ونب نويهص" لتسمعهم يضحكون من غبائك.

- تقصد أولئك المساكين الذين غسلت عقولهم، لا حاجة لجلبهم فهم أنت في صور مختلفة، ديفيد بأرقام متعددة.

- إذا ما قلت إقرار منك على نجاحي وفشلك، فأين أنت من أولئك الذين أفنيت عمرك من أجلهم.

- بل على فشلك، البقرة تلد بقرة تشبهها وتحيا مثل حياتها لتلد هي الأخرى بقرة، وهكذا يتكاثر البقر، أما الإنسان فيبني الإنسان الحق الذي يوظف فكره دون تقليد ولا جمود ولا تبعية.

- نعم، قولك صحيح، وأنا أريدهم بقراً لا بشراً، ستفنى الإنسانية فيهم عما قريب- قام متجهاً نحو الباب- نم الآن ودع قناعاتك تغير العالم الذي أصنعه بيدي هاتين.

أُغلق الباب، بقي كشيم في سريره بين أحضان غرفته، هائماً في عالم فكره الذي وهبه للناس، مترقباً لكل ما سيجري في قابل الأيام.

دخل ديفيد غرفته الفسيحة، ثائراً من كل ما حدث به كشيم، فكل لقاء له به يزعزع ذاته المتكبرة، ولو أنه يجيب بغطرسة، لكنه يتخيل نفسه طفلاً يوبخه أبوه الذي يفوقه فكراً وخبرة وتجربة.

مرّ على صفوف الشموع المشتعلة والمتقابلة، حتى انتهى لموضع جلوسه، جلس الأربعاء أمام تمثال منحوت بصورته، جمع يديه وهو يتأمل في ذاته

المتألهة، وسوسة شياطينة لا تهدأ، تخبره أنه أعظم البشرية ولا أحد يضاهيه في قوة تأثيره على الناس، وأنّ هؤلاء الأتباع التي تتكاثر أعدادهم هو من يكتب أقدارهم، يوجههم فيتوجهون، يأمرهم فيبادرون لطاعته، وينهاهم فينتهون، اعتلته تلك اللذة الجامحة فأطربته، تمكنت من إيجاد مستقرٍ لها في دواخله.

فقال:

- أنا ديفيد الزعيم، ولن يوقفني أحد ما حييت، أعدك بذلك.

قام لينحني بخضوع تام لتمثاله.

رش هوكو الماء على وجهه، التقط أنفاسه بصعوبه، اختفت حمرة وجهه لتحل مكانها صفرة الهلع.

- الظاهر أنه كابوس مزعج يا صديقي ميلس، قم فلا أحد سواك مستلقٍ على الأرض.

نظر سليم للساحة فوجدها خاوية، سأل هوكو:

- أين الجميع، هل غادروا؟

- هناك من غادر، وهناك من ينتظر الرد على جوابه.

لقد سمعت نداء على أسماء ستشارك في مسابقة، وكان معهم اسمك، هل ستشارك؟

- نعم.

- إذاً أسرع لتلتحق، ستبدأ عما قريب.

- حسناً، أين ستقام؟

- في قاعة كبيرة داخل القصر، عليك أولاً أن تتسلم بطاقتك من السيدة التي أودعت ملفك عندها.

- شكراً لك هوكو، وأنت إلى أين ستذهب؟

- سأقصد الحانة، سأنتظر فيها إلى أن أرى هل قبل طلبي أم لا؟ اعتنِ بنفسك أراك لاحقاً.

اتجه سليم ليأخذ بطاقة المشاركة، التحق بالقاعة الكبيرة داخل القصر، وجد جماعات متفرقة تنتظر، تقدم نحوه رجل ليسأله:

- بم تريد أن تتقدم؟

- لم أفهم سؤالك، وضح أكثر من فضلك؟

- كل واحد هنا سيبدع في المجال الذي يناسبه، إما قسم الكتابة أو التمثيل، أو التصوير، وهكذا.

- آه، فهمت الآن.

- فكر سليم ملياً، فقال له: الكتابة سيدي.

- إذاً التحق بتلك المجموعة هناك على اليمين.

سار إلى أن وصل لمجموعته، ألقى عليهم التحية فلم يردها أحد، جلس قرب فتاة متأنقة، متعطرة وقد جهزت نفسها أحسن تجهيز، تلبس تنورة قصيرة، حدثها سليم:

- ربما تحلمين أن تكوني ممثلة.

رمقته بنظرات متعالية:

- أنا خلقت من أجل ذلك.

- أي الأدوار تحبين؟

- مررت يدها على شعرها، وفجرت أنوثتها أمامه:

- أدوار الإغواء، يعجبني أن يستسلم الرجال لي.

- أترضين لنفسك أن تصورك الكاميرا ليراك الناس، أما تخجلين من ذلك؟

ردت بثقة:

- ولمَ الخجل! جسدي أفعل فيه ما أشاء، لا يهمني الناس لأنني لم ألزم أحداً بمشاهدتي، الذنب ذنبهم لا ذنبي.

"إنّ القوة السالبة لديفيد قد استحوذت عليهم، إنّهم يفكرون بفكره ويتشبهون به في كل شيء".

سألته:

- وماذا تجيد أنت؟

- أجيد التفكير بعقلي، والكتابة بقلمي يا آنسة.

- إذاً أنت كاتب، سنشتغل مع بعضنا.

- لا يمكن فما تريدين لا أحسن التعبير عنه.

- كيف ذلك؟ كلّ من في هذه المجموعة سيقدمون مشهداً كاملاً، ستكتب أنت الحوار، وسأمثل مع من تقدم منا للتمثيل، وسنصوّر أيضاً، بعدها تعرض مشاهدنا على ديفيد واللجنة التي معه ليختاروا من سينضم إليهم.

- إذاً لا مفر لي منك.

ضحكت بغنج، اقتربت من وجهه، مررت يدها على خده:

- لا يا صغيري.

تنبه الجميع لرؤية أكيرما رئيس الخدم وهو يتقدم إلى المنصة، حاملاً ملفات، طلب منهم الانتباه لما سيقول:

- مرحباً بكم، سأقدم لكل مجموعة ملفاً يحتوي على المطلوب منها، ستجتمعون فيما بينكم وتتداولون عن كيفية إنجازكم له، كل مجموعة هي بمثابة فريق عمل متكامل، ابذلوا وسعكم وفجروا إبداعاتكم، لأنّ الفائزين سينتقلون من حياة البؤس إلى حياة الرفاهية التي يتمناها الجميع.

طلب من مساعديه توزيع الملفات، تسلم سليم ملف مجموعته:

- سنقرأ في البداية العمل وبعدها نناقشه.

فتح سليم الظرف فقرأ جملة واحدة فقط ألقاها على مسامعهم:

"رجل دين تقي في الظاهر خبيث في الباطن".

فرحوا بالموضوع، إلا سليم بقي مشدوهاً، لا يعرف أيتكلم لمخالفة ذلك، أو يصمت لكيلا يبدي نواياه.

تحمّس من معه لبدء العمل، توجهوا لسليم، لا بد أن تكتب لنا السناريو جيداً، ولا تنسَ أن تدقق في مواصفات رجل الدين، تدخلت الآنسة:

- علمت أن ديفيد لا يحب رجال الدين الملتحين، يبغضهم بغضاً شديداً، ولكي يعجب ديفيد عملنا سنجعل صفاته رجلاً ملتحي الوجه، نضيف القلنسوة ليبدو شكله كما يريد.

رد سليم بغضب بدا عليه، لاحظه من معه:

- لا يمكنني كتابة ذلك، لم أعتد على هذا الأسلوب الدنيء.

نظروا نحوه نظرة حانقة وقالت الآنسة:

- ستكتب وإلا سأخبرهم أنك تمتنع عن طاعة أوامر ديفيد.

قبض سليم راحة يده، ضربها على فخذه، أحنى رأسه، قال في نفسه: سيضيع كل شيء إن رفضت، إنه شر لا بد منه.

- نحن هنا لنفعل ما طلب منا زعيمنا ديفيد، ولا نريد غير البقاء في "ونب نويهص"، ولكن دعوني سأعتزلكم لأركز مع ما أكتب.

قصد زاوية في القاعة، جلس على كرسي، أحضر له بعض أعضاء مجموعته مكتباً صغيراً، انصرفوا ليبدؤوا باقي التحضيرات، يجلبون مستلزماتهم التي يحتاجون من ديكور وماكياج وملابس ومعدات التصوير، كل شيء قد وفروه لهم.

أخذ سليم قلمه ويده لا تطاوعه للكتابة، كيف يمكن أن يدنس عفة رجال الدين، وضع القلم وشبك بعشره على رأسه: إنها مصيبة، إنهم يصورون رجل الدين منافقاً، يخفي ما لا يبديه، إن الناشئة لن تثق بالمتدين ولن تلجأ إليه أبداً، لأنّ القدوة قد دنّسها ما يمثلون عنهم، وسنزيد الطين بلة فقد يختارون مشهدنا ليصبح فيلماً، يا لمصيبتك يا سليم حين تكون أنت من يكتب الحوار، أنا أمام نارين ستلهتب إحداهما لا محالة، نار عالمي الذي يلفحه خبث ما ينتج هنا، ونار فشلي في مهمتي.

أخذ قلمه وبدأ بالكتابة، وهو منهمك في ذلك تريث قليلاً: لا بد أن يكون كشيم ضمن اللجنة، لا يمكن أن يستغني عنه ديفيد لأنّه الأبرع فيهم لتقييم الأعمال، لا بد من لفت انتباهه بشيء.

سلك في أذنه حواره مع إليل وهي تخبره عن الحدس، فضرب رأسه: إنّها هي.
أدرج في الكلام الذي سيقول رجل الدين إشارة لذلك، وما إن انتهى حتى اقتربت منه الآنسة المتغنجة:
- ألم تنتهِ بعد! لا وقت لدينا نضيعه في تفكيرك المعقد، ولو قمتُ لأجتاز صنف الكتابة لألفته في رمشة عين.
- ألهذا القدر تظنين الكتابة سهلة! إنها أصعب من صورتك الصماء يا هذه.
- اتركنا من فلسفتك، فصورتي أغلى من فكرك.
تبعها إلى حيث يتواجد البقية، جهزوا لبدء التصوير.
مشهد البداية:
رجل دين يلبس الجلباب، طويل اللحية، مطبوع على جبينه دائرة صغيرة سوداء، يلبس جلباباً وفي يده سبحة، الناس حوله يستمعون بخشوع تام لما يحدث به:
"يا أيها الناس إننا للموت أقرب، سنفنى وتفنى معنا كل هذه الحياة، إنّ الموت حقيقة لا مفر منها، لا تخدعكم الفتن ولا تدعوا ملذاتها تستحوذ عليهم، إنّ التقوى هي الأساس أن تكون بين الناس كما تكون مع نفسك، اتبعوا حدسكم سيهديكم للحقيقة الكاملة".

مشهد الختام:

يصعد الرجل إلى غرفته داخل المعبد، ينظر لساعته بين اللحظة والأخرى ويقول: ما بها تأخرت نفد صبري، يسمع طرق الباب فيهب لفتحه، تقف أمامه امرأة لا يظهر منها شيء بلباسها الأسود، يجرها إليه جراً: أنتظرك على أحر من الجمر.

أغمض سليم بعد ذلك عينيه.

انتهى التصوير.

- من مع تقديم العمل دون تعديل فليرفع يده.

رفعوا أياديهم في رمشة عين، رمقوا سليم غير رافع يده فقد كان شارد الذهن، ململته الآنسة قائلة:

- ما بك، ألم يعجبك ما قدمنا؟

- لا بل هو عمل ممتاز، ورفع يده.

قال بصوت مهموس ما سمعته إلا أذنه: إنه العبث.

حملوا شريطهم إلى مكتب إيداع أعمال المجموعات، انصرفوا إلى حين الإعلان عن الفائزين، أسرع سليم الخطى إلى خارج القصر، التقى هوكو مقبلاً نحوه، أمسك بيده وأمره بأن يركض معه، استفسره سليم وهو يركض أيضا:

- انتظر يا هوكو، إلى أين نحن ذاهبان؟

- لقد علقت الورقة يا ميلس.

- أية ورقة؟

- ورقة المقبولين للبقاء في "ونب نويهص"، أرجو أن نبقى هنا ميلس.

اقتربا من المكان الذي علقت به الورقة، انقسم الناس بين من يقفز فرحاً بقبوله، وبين باك يندب حظه العاثر.

تقدم هوكو متوسطاً الجموع، ما هي إلا لحظات حتى خرج فسقط أرضاً سقوط من أصابته رصاصة في فيلم لترتطم ركبه على الأرض، انهمر الدمع من عينيه، اقترب منه سليم:

- لا عليك هوكو، ربما قد نجوت، يستحسن أن تغادر "ونب نويهص" لتعيش حياتك الطبيعية.

نظر هوكو نحو سليم:

- لن أغادر يا ميلس، وأنت كذلك، لقد قُبل طلبي وطلبك.

غازلت شفاه سليم ضحكة صادقة غابت عنه منذ زمن دخوله لونب نويهص، زاد من شدة عناقه لهوكو:

- هنيئاً لنا يا صاحبي.

سأله هوكو:

- ماذا كتبت في طلبك لتقبل؟

ابتسم سليم:

- أبديت رغبتي بالبقاء لأنني ما عدت أتحمل قبيلة سانكو.

- أأنت من سانكو؟

- نعم، هل تعرفها؟

- وهل يوجد من لا يعرف تلك القبيلة البائسة، لقد أصابتها لعنة معصية أوامر ديفيد، ولا شك أنها ستباد عما قريب - وضع يده على كتف سليم- لقد نجوت يا ميلس من الهلاك.

- حمدا لله - تظاهر بالتأثر - إنهم أغبياء إلى درجة أنني ما عدت أحتمل النظر في وجوههم، آه نسيت أن أسألك، عن طلبك ماذا كتبت فيه؟

- أنا لا أجيد الكتابة جيداً، فهي ترهقني تجعل عقلي يعتصر، رأيت أن أكتب جملة واحدة علقت عليها كل آمالي أن تقبل: كتبت "أنا عبد يحتاج لسيد".

ضحك سليم حتى بدا ضرسه:

- أحسنت التعبير هوكو، وأسأت كعادتك اتصافك بالعبودية.

- عبوديتنا هنا يا ميلس أحسن من عبوديتنا في مناطقنا، على الأقل ستفتح لنا أبواب السعادة الدنيوية، لأنك لا تدري ظروفنا الصعبة وقلة ذات اليد التي تؤرق ليلنا وتدمي نهارنا، أما من بيدهم أمرنا لا يهتمون إن متنا أو عشنا، كل ما يريدون منا العمل من أجل ثرائهم وبذخهم.

- أنتم تشبهونهم إذاً.

- من هم؟

- انسَ يا هوكو، إنهم في خيالي ليس إلا، أناس مقهورون فعل فيهم كبراؤهم ما يفعل سادتكم، ما تنوي فعله في "ونب نويهص"؟

- لن أفعل شيئاً، سأنسى كل شيء إلا العربدة والسهر.

- ألا ترى أنه هدف بسيط تحيا من أجله؟

- ها قد بدأت هرطقتك من جديد، أنا لا أجيد أي شيء، كنت في منطقتي كدابةٍ يجلدها صاحبها، يوجهها حيث أراد فتتوجه دون أن تبدي أية

مقاومة، هكذا تربيت من صغري، ووجدت أبي كذلك وجميع إخوتي، لم نتعلم، بل حتى لم نتساءل في يوم من نكون، فماذا تريدني أن أفعل يا ميلس؟

- فعلاً، تأكدت الآن، إنكم تشبهونه حقاً.

- من هم؟

- إنّهم أيضاً يُعجنون فيشكلونهم كما أرادوا، يختارون أردأ الطحين، لتكون ذواتهم هشة، لكيلا يبدوا أية مقاومة، سأتركك الآن لأنّني سأقصد القاعة سيعلنون عن الفائزين في المسابقة، تمنَّ لي التوفيق.

- ستصل إلى ما تريد يا ميلس، ولو أنني أجدك غريباً، إلا أنّ فيك شيئاً مميزاً.

- شكراً لك هوكو، حتى أنت ستصل للحقيقة الكامنة في داخلك، سترشدك للطريق الحق لا محالة، لتتعجب من الكنز المدفون فيك.

أجابه ساخراً:

- كنز! الكنوز تدفن تحت الأرض لا في أجسادنا.

- بل أغلى الكنوز التي لا تقدر بثمن هي في ذواتنا.

- هرطقة.

- نعم، إلى لقاء قادم.

نادى ديفيد على يده اليمنى أكيرما لكي يجهز لخروجه للقاعة الكبرى، أتاه أكيرما:

- نعم ديفيد، ستخرج للقاعة إذاً.

- سأكون مع اللجنة التي فيها أنت، وباقي المخرجين المحترفين، وأيضاً لا تنسَ إحضار كشيم.

- كشيم، لماذا تريد تشريفه؟

- إنه ليس شرفاً، بل رد دين، سأجعل الجميع يسخر منه.

- كيف ستفعل ونعلم أنه يفوقنا خبرة في هذا المجال.

- ستعرف كلّ شيء في وقته، هيّا أخبر أعضاء اللجنة وكشيم، وسأكون آخر من يلتحق.

- أمرك.

انصرف أكيرما، نادى على المخرجين الذين انتقاهم ديفيد، أسرع للغرفة السوداء، فتح الحارس الباب، دخل ليجد كشيم جالساً غير مبالٍ بما حوله، مغمضاً عينيه، هادئ البال، دنا منه بخطوات متباطئة، قال بصوتٍ منخفضٍ:

- هيّا كشيم ستلتحق بالقاعة الكبرى، ستكون في لجنة تحكيم مسابقة نظمناها لنختار بعض العاملين الجدد في مجال صناعتنا للأعمال المصورة.

رفع كشيم جفونه ببطءٍ، نظر لأكيرما نظرات استصغار، أسدل جفونه مرة أخرى.

رفع أكيرما صوته أكثر من الأول:

- سمعت قولي، هيّا قم لا وقت أضيعه معك.

- لكنّني لم أختر أن أنضم إليكم، اتفاقي كان هو الإشراف على أعمالكم القذرة، لا أقل ولا أكثر.

انتفخت عروق أكيرما:

- إنّه أمر، لا خيار لديك، وإلا ستندم على مخالفتك الأوامر، لا تنسَ أنّ كتب الأثير كلها تحت إمرتنا، إما تنصاع عن طيب خاطر، أو ندرج شخصيات سيكتب عليها الموت، لذلك ستكون من آكر.

أحس كشيم بالضغط، لكنّه حافظ على هدوئه الخارجي قائلاً:

- إنّ كل من بآكر لا يهاب الموت، وإلا لما قدموا تباعاً إلى هنا لفك لعنتكم، إنهم رجال حقيقيون وليسوا مثلكم يا أشباه الرجال.

أحس أكيرما بالاستصغار، قال بصوتٍ حادٍ:

- كفانا من مثاليتك الزائفة، حضر نفسك لديك خمس دقائق فقط.

أجابه بهدوء:

- لا حاجة للانتظار، هيّا لأضحك على هرائكم.

قام كشيم ليرافق أكيرما ولو أنه غير مستعد لمشاهدة ما قام به المتسابقون لأنه يتوقع ما سينجزون، الكل يريد التقرب من "ونب نويهص" ويعلمون أنّ أحسن وسيلة هي الرداءة في النص والصورة.

وصل كشيم للقاعة، جلس في مقعده، جلس بقربه أكيرما، والمقعد الآخر الذي بجانب أكيرما هو لديفيد.

دخل كل المتسابقين، حجز سليم مقعداً له في المقدمة ليراقب عن كثب، تفحص كل أعضاء اللجنة، حتى وقعت عينه على كشيم، مسافراً ببصره خارج أسوار القاعة، ابتسم سليم: "لقد صدق ظني، إنه هنا، لا بد أن يلتقط إشارتي، ولو أني قبلت للبقاء سأحتاج التقرب أكثر بعملي معهم، لن تبعد عيني عنه لأرى تفاعله مع ما كتبت".

فجأة قام الجميع بدخول ديفيد، التهبت القاعة بتصفيقٍ حارٍ أسعد ديفيد، فوجه نظرات احتقار لكشيم لم يلقِ لها الأخير بالاً، كل من في اللجنة قام لتحيته إلا كشيم ظل ساكناً في مكانه، جلس قربه فخاطب الجميع:

- أهلاً بكم، سنبدأ الآن بمشاهدة ما قدمتم، سيختار كل عضو من اللجنة جهراً أمامكم من رآه قد أجاد في عمله، فمثلاً إن رأى المخرج يستحق الفوز قال أختار المخرج، أو الممثل وهكذا، ابدأ مع أول مقطع.

شغل المكلف أول مقطع، كان مرئياً في شاشة كبيرة جداً.

إنه قسيس يقدم عليه المذنبون ليتوبوا فيستغل ضعفهم وخوفهم من وقوع العقاب عليهم، يطلب منهم مبالغ مالية للتكفير عما اقترفوه، يأتونه بما

طلب ليمسح على رؤوسهم بمنديل يقول: إنّه مقدس كان للمسيح فورثه أباً عن جد، وله أتباع يساعدونه لخدع الناس.

انتهى المشهد.

"إنه يستهدف كل الأديان، يريد أن ييأس الناس من رجل الدين، يا لخبثه!".

بدأ التصويت لمجموعة العمل الأول وقد اصطف أعضاؤها في المنصة، المخرجون الثلاثة توحدت كلمتهم على مخرج العمل، صاح فرحاً.

بقي كشيم وأكيرما وديفيد، اختار أكيرما الممثلين الذين لعبوا دور أتباع القس، جاء دور كشيم فامتنع عن التصويت لأنه رأى العمل رديئاً جداً من كل الجوانب، تدخل ديفيد موجهاً الخطاب للحاضرين بتهكمٍ:

- اعذروه، إنّه لا يفهم من الشرح الأول، يحتاج للتكرار - عدل بصره نحوه - وأعاد ما قاله في البداية مركزاً على ضرورة التصويت.

ضحك كل من في القاعة، إلا سليم عضّ أسنانه: "إنّه يقصد إهانته هذا اللعين".

قال كشيم برزانة:

- إن كان لا بد من تأطيرنا لاختيار الرداءة، سأختار المكلف بالملابس.

سخر ديفيد من اختيار كشيم:

- إنّ ذوقك سيّئ، ولكن سنقبل به.

فرح أيضاً من اختاره كشيم.

أما ديفيد فأشار إلى أنّ الماكياج كان جميلاً، فصوت لصالحه.

انتهوا من المجموعة الأولى، لينتقلوا إلى مجموعة سليم، بقي سليم مركزاً على كشيم، ليحاول قراءة تصرفاته، وهل فهم إشارته؟

بدأ العرض، وما إن رأى ديفيد شكل الممثل حتى ابتهج، وقد بدا ذلك واضحاً على تصرفاته.

سلك في أذن كشيم قول رجل الدين:

اتبعوا حدسكم فهو يدلكم للحقيقة الكاملة، "مستحيل، هذه وصيتي ليمار، هل وصلوا إلى هناك! هل أحضروه!".

حافظ كشيم على هدوئه ولو أنه متلهف لرؤية كاتب السيناريو، أما سليم فقد بدا عليه التوتر وهو واقف فوق المنصة ينتظر اختيارات اللجنة، لم يشأ كشيم لفت الانتباه فأكمل تحديقه في الشاشة، ظن سليم أنه لم يلتقط إشارته ولن يحقق المراد.

انتهى المشهد بعد أن أغمض كشيم عينيه مع ما حدث مع الآنسة كما فعل سليم أثناء التصوير.

طأطأ سليم رأسه، اختار المخرجون الثلاثة المخرج أيضاً، صاح من الفرح ومر من أمام أعضاء المجموعة يسلم عليهم ويهنؤونه، اختار أكيرما الآنسة لأنها كانت فاتنة وأتقنت الدور بخلاعتها الظاهرة، فقالت لسليم:

- ألم أقل لك إنني خلقت للتمثيل.

أجابها ببرودة:

- بالتوفيق آنسة.

أتى دور كشيم، وسليم بصره ملتصق بالأرض، يجول في فكره أنّ كشيم يختار الأقل ضرراً بين المتقدمين، لا بد أنه سيركز على الديكور، أما كشيم فتريث كثيراً: "لا أدري من أشار على أعضاء المجموعة بقضية الحدس، ولو أني أشك بأنه الكاتب، ولكن قد أخطأ".

تدخل ديفيد:

- إنك تؤخرنا يا كشيم، هل تاه فكرك مرة أخرى!

تعالت ضحكات السخرية، وانتشى ديفيد بذلك، فعلم أكيرما ما قاله ديفيد بأنه سيجعل الجميع يسخر منه.

رفع كشيم رأسه متجهاً ببصره نحو أعضاء المجموعة، لاحظ سليم حاني الرأس، لكن لا يعلم من هو، ظن أنه مترقب للنتيجة ليس إلا.

- سأختار الكاتب.

رفع سليم رأسه، وجه بصره نحو كشيم بنظرة خاطفة، سلم على باقي زملائه في الفريق.

رمقه أيضاً كشيم بسرعة، ولسان حاله يقول: إذاً هو، يظهر أنه ذكي، ولكن هل يمكن أن تكون مجرد مصادفة بأن كتب الحدس في الحوار، سأتبين من الأمر لاحقاً إن شاءت الأقدار أن ألتقيه.

قال ديفيد:

- إنّ صناعة الصورة تحتاج الذوق الجيد، وملاحظة دقيق الأمور، هذا ما لم يصل إليه باقي أعضاء اللجنة، ربما يحتاجون للوقت ليرتقوا إلى ما أخبرتكم، لم تركزوا على من جعل الرجل يبدو في ذلك المظهر الجليل، والمهابة ظاهرة عليه، إنّه الفن الحقيقي، فكلّ من شاهد المقطع سيخدع بمظهره إلى أن يرى ما يخفيه، لقد أحسنت العمل، سأختار من فكر في الشخصية كي تكون كما يجب.

كانت الآنسة، لذلك اختيرت للتمثيل، وللتفكير في أشكال الشخصيات لترى كما يريدها ديفيد.

عاد سليم والبقية إلى مقاعدهم، ظلّ يخطف نظراته نحو كشيم الذي يحس بسليم لكنّه يتحاشى مبادلته نفس النظرات، لأنّ حركاته وسكناته يراقبها رجال ديفيد، استمرت العروض إلى أن انتهت، وكل رسائلها موجهة لضرب صورة رجال الدين على اختلافهم.

انتهت المسابقة، نهض كشيم من مكانه متجهاً للغرفة، أعين سليم قامت معه وصاحبته إلى أن توارى عنها، برفقته أكيرما وبعض الرجال، تبعهم ديفيد فأوقف أكيرما وكشيم، وقال مستهتراً:

- إذاً يا كشيم، هل أعجبتك المسابقة! لقد بدوت كتلميذ يستمع لمعلمه، لقد بدوت صغيراً جداً.

أكمل كشيم سيره وحيداً، ولم يزعزع ذلك هدوءه:

- من عادتي أني لا أجيب السفهاء يا سفيه.

غضب أكيرما، قال لديفيد:

- لماذا نصبر على هذا المتعجرف، دعنا ندفنه حيّاً أمام الملأ.

- لا يا أكيرما، ما زلت في حاجة إليه، إن قتلته سأكون أنا المنهزم، إنك لا تعلم أنه الآن يحترق من الداخل، ما أفعل به أشد من القتل، جعلته ينتج ما كره التفكير فيه حتى، وهذا ما رفض لسنوات عديدة. أفهمت يا أكيرما، أضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ، سيطرتي وانتصاري على كشيم، ألا تستمتع نفسك لما تراه يعمل تحت إمرتي، والدمع ما منعه من الانسكاب إلا نفسه الأبية، أو لما حكمنا على رجال آكر بالموت الحقيقي في المشاهد، لا أخفيك أكيرما أنني أُطرب حين يغمى عليه وهو يشاهد أهل منطقته يقتلون أمام ناظريه، سعادتي كانت لا توصف.

تهلل وجه أكيرما:

- يا لدهائك سيدي!

سليم مع باقي الفائزين في المسابقة في منزلٍ كبيرٍ مجاورٍ للقصر، كان منزلاً فخماً يتوفر فيه كلّ ما يتمناه الإنسان، رافقهم القيم على المنزل ليُرِي كل واحد غرفته، دخل سليم فوجد سريراً كبيراً مصنوعاً من أجود أنواع الخشب ومنقوشاً بمهارة، أمامه شاشة مسطحة معلقة، وأباجورات ينبعث منها ضوء أزرق، قصد ثلاجة كبيرة ففتحها، وجد كل أنواع المأكولات والمشروبات التي لم يسبق له أن رآها، وقارورات الخمر المعتق الفخم، أخذ بعض الطعام ليسكت جوعه وأغلقها، حام حول الغرفة ليتفقدها ولم يبهره شيء فيها، لكنه سمع صيحات الفرح من الغرف المجاورة له، فقد أسعدهم ما وجدوا.

اضطجع سليم فوق السرير وكل تفكيره يحدثه عن كيفية الوصول إلى كشيم: إنهم يحاصرونه ولا يدعونه يتجول وحده، الحراسة عليه مشددة ولن يفسحوا لي المجال للتقرب منه، سأفكر ملياً في الأمر، لا بد من حل لكل مشكلة، أما إذا جمعني به عمل واحد سأقترب كثيراً منه.

أخذه الحنين لإليل وآكر: لماذا أحسّ أنّني أريد رؤيتها، أن أجالسها ولو للحظة دون كلام، أنظر لعينيها البريئتين، وألمس فيها تلك الفتاة التي تحمل على عاتقها هم منطقتها وعالمي، لا أدري من أي الشخصيات هي، كل ما فيها جديد لم أرَه من قبل، أريد أن أقيسها بغيرها ولكنّني لا أستطيع، لم

يحضر في عقلي شبيه لها، إنها يقاس بها ولا تقاس بغيرها، آه على حب اعتراني دون أن نفصح عنه، كنت أشاهده تمثيلاً والآن أعيشه حقيقة، إنّ أمر هذا الحب عجيب، لكن إذا كتب لي بها اللقاء سأخبرها عن كل ما في قلبي، وأتمنى أن يكون نفس شعورها تجاهي، إليل حقاً قد نقلتني من عالم لعالم فوق الانتقال من مكان إلى مكان، جعلتني أرى ما حلمت برؤيته ولو في هذه الظروف الصعبة التي لا أعلم كيف ستحل، ولا يدور في عقلي كيف سأخلص آكر من ديفيد، هو يفوقني قوة وكل من في "ونب نويهص" رجاله، فكيف سأنتصر عليه وأنا وحدي في مواجهة جحافله، وكشيم مقيد بمن يحيطون به!

رقد سليم بعد أن أعياه التفكير، إلى أن استيقظ على صوت طرق الباب، قام مسرعاً، فوجد رجلاً يلبس بذلة رسمية سوداء أنيقة وربطة عنق وردية:

- مرحباً ميلس، لديك اجتماع بعد ربع ساعة، جهز نفسك والتحق بالقاعة الكبيرة داخل القصر- سلمه بذلة رمادية وربطة عنق سوداء - هذه بذلتك.

- حسناً، شكراً لك.

ذهب الرجل ليعلم باقي من يتواجد في المنزل، ماراً على كل غرفة على حدة، وبنفس الطريقة يخبرهم بالاجتماع.

لبس سليم البذلة، لكنه لم يلبس يوماً ربطة عنق، خرج وهو يمسك بها في يده، عند خروجه التقى بالآنسة وقد لبست بذلتها الرمادية أيضاً، ألقت التحية عليه:

- مرحباً، تبدو الآن شخصية مثقفة.

- وهل الملابس تحمل ثقافة؟ إنها مجرد قشور نستر أنفسنا بها.

- جرب أن تلبس ملابس رثة، وانظر هل سيحترمك الناس، كل شيء في هذا الزمان يركز على الصورة، لن تحتاج لعقلك لكي تكسب إعجاب غيرك.

تنهد سليم:

- للأسف، صدقت يا آنسة، كأنّنا نأكل القشور ونرمي اللبّ.

لاحظت أن سليم لا يضع ربطة عنقه:

- لماذا لا تضع ربطة العنق، الظاهر أنك لم تعتد التأنق، فقد انغمست في تلك البلاهة التي تحدث بها، دعني أعدلها لك.

أجادت ربطها في عنقه:

- الآن أصبحت أستاذاً.

- شكراً لك يا دكتورة.

- سأتركك الآن عليّ أن أرجع إلى الغرفة لبضع دقائق، كي أحملق في شكلي في المرآة، وأرى إن نسيت أحد تفاصيل طلتي البهية، آه نسيت أن أسألك عن اسمك.

- ميلس.

- اسم غريب كغرابتك، لكنه جديد - صافحته- وأنا اسمي إيند.

- تشرفت بمعرفتك إيند.

خرج من المنزل ليجد السيارات في انتظارهم، وكلما التحق أحدهم إلا وركب السيارة وانطلقت به إلى داخل القصر، وقف سليم قرب الباب، فناداه السائق:

- السيارة تحت إمرتك، اركب لننطلق.

تقدم فركب السيارة إلى أن توقفت قرب القاعة، فتح السائق الباب فخرج منها، سار إلى أن ولج إليها، دنا حتى جلس في مقعده في المائدة المستديرة التي تشبه تلك التي يجتمع حولها الرؤساء، بدأ البقية بالالتحاق واحداً تلو الآخر حتى اكتمل العدد فأغلقت القاعة أبوابها، رأى سليم ثلاثة مقاعد فارغة، لكن لمن؟ لم يكن يعرف.

فجأة! دخل أكيرما ومعه كشيم فجلسا في مقاعديهما، فرح سليم لرؤية كشيم، نظر نحوه نظراته الخاطفة من جديد، دخل ديفيد أيضاً فتوسط الجمع. فقال سليم: "إنه اجتماع رسمي إذاً".

قام الحضور لدخول ديفيد إلا كشيم، استغربوا من عدم قيامه، فقال ديفيد: لا عليكم، إن أرجله يصيبها الشلل كلما رآني من عظمتي، تفضلوا بالجلوس.

ارتسمت على كشيم ابتسامة الاستهزاء، أما سليم فكاد ينفجر من الضحك لولا أنه حبس ذلك: "إنها العجرفة الخاوية وحب الذات البليدة".

بدأ حديث ديفيد:

تعلمون أنكم جد محظوظين كونكم تجلسون معي في المكان نفسه، وهذا وحده يكفيكم شرفاً، أعلم أنكم لطالما حلمتم بلقائي وسماع كلامي الذي لا يمل سامعه، ولا ترف عين الناظر تجاهي من شدة جاذبيتي، لقد فتحت لكم باب الجنة التي سترتعون فيها دون قيد ولا ضيق، وأعلم أن دواخلكم تتمايل طرباً مما ترى وتسمع - نظر لكشيم - ولا شك أنّ ما كانت عليه آكر لا يمت للإنسانية بصلة، يبيعوننا الوهم ظانين أنفسهم هم المخلصون الذين يجتثون البشرية من براثين الجهل، وينيرون ظلماتهم ليهدوهم للطريق السوي - عدل نظره عن كشيم ونظر للحضور نظرة متعالية - هراء في هراء ما أتعبت آكر نفسها لأجله، ألا توافقونني الرأي؟

توحد جوابهم وسليم معهم أيضاً:

- بلى.

وأكمل:

- لذلك أنا مستمر في العمل الذي أنشأته، لنبين لكل المشاهدين أنهم كانوا على خطأ، وأن الحياة رحبة لا تحتاج لتضييق، وسأفضح كل من يخادع الناس بدعاويه الباطلة، لذلك أريد أن أسمع اقتراحاتكم لننجز عملاً يدمر قيمة الدين في أنفسهم، يكشف المستور، يلطخ صورة رجال الدين الدجالين.

تذكر سليم قول إيند أنّ أشد ما يكره ديفيد رجل الدين الملتحي: "إنّها فرصة سانحة يجب عليّ اغتنامها للتقرب من ديفيد، وحتى من كشيم قبل أن تطرحها إيند" فبادر لرفع يده قائلاً:

- لدي اقتراح سيدي الموقر ديفيد.

نظر إليه ديفيد بعجرفة، وأكيرما وكل الحضور، وكشيم رمقه أيضاً بنظرات متباطئة، فاقترب أكيرما من أذن ديفيد:

- إنه شاب من عدوتنا سانكو، أتى مودعاً لهم وقد قبلت طلبه، استنجد بنا لكيلا يعود إلى سانكو اللعينة على حد قوله.

- إذاً أنت من سانكو، هنيئاً لك لقد نجوت من اللعنة التي ستحل عليها قريباً، وعلى كل من يوالي آكر، لن أغفر لكل من ساندهم ضدي أياً كان.

"لماذا قال إنه من سانكو، ألم يجد قبيلة أخرى ينتمي إليها؟ أو ربما لم يعرف اسماً غيرها".

أكمل:

- ولو أنهم قبيلتي إلا أنني بريء منها، فانتمائي الآن لـ"ونب نويهص"، ولي عظيم الشرف بأن أكون هنا ومعكم سيدي العظيم.

- ألم تسمع كشيم ما قاله الشاب، الكل يتشرف بانتمائه لي، إنها قبيلة شريفة عكس ما كنت تخدع الناس بإساءتك لنا.

أشار لسليم بأن يكمل.

- أقترح أن نكتب قصة تحكي عن رجل الدين الملتحي الذي صورناه في مشهدنا، ونركز على هفواته وجهله بمتطلبات الحياة، ونزيد من حدة تصويره ذلك المخادع الذي لا يهتم إلا بنفسه وبشهواته التي لا تنتهي، وأرى أيضاً أن نجعله عميلاً لجهات تخريبية تريد زعزعة استقرار وأمن الناس، لأنني ما كرهت في يوم أحداً كرهي لهؤلاء إنهم ذئاب في صورة إنسان، ولا يزال العديد منهم في قبيلة سانكو، كانوا يهيجون أهالي القبيلة عليك سيدي، حتى رئيسنا لا يتقدم خطوة إلا بمشورتهم.

أمسك ديفيد قبضته:

- أولئك الملاعين، سأسحقهم واحداً تلو الآخر، وكل من هم على شاكلتهم.

غضب كشيم، وخرج عن صمته مخاطباً سليم:

- ألهذا أنت هنا، ما هذه الرسالة الخبيثة التي تنوي تبليغها، ما شأنك وما سبب حَنَقك على رجل الدين، هل تمكنت منك أيضاً روح ديفيد الشريرة، يستحيل أن تكون عاقلاً لتقترح مثل هذه المصيبة.

ذهل سليم، انهد على كرسيه بلا حراك: "لا يا كشيم يجب أن تفهم، ما هي إلا خدعة، لأتقرب منك."

أطلق ديفيد ضحكات الفرح، فقد أمتعه سليم حين أخرج كشيم عن هدوئه المعهود، وأشار لسليم:

- أحسنت لقد حرك ما قلت الجبل الساكن فاضطرب، دوّن يا أكيرما هذا المقترح إنه رائع.

وأكمل إطلاق ضحكاته ليغيظ كشيم.

شكر سليم ديفيد على استحسانه لمقترحه وعينه جاحظة تجاه كشيم، بقي على تلك الحالة حتى انتهى الاجتماع، قام كشيم بغضب موجهاً كلامه لسليم ولا يزال البقية لم يغادروا القاعة:

- عد من حيث أتيت، لن تنفع هنا بشيء يا فاشل.

أمسك سليم رأسه والصداع قد شقق عروقه، تقدموا لمواساته، أما ديفيد فما زالت نظراته تستمتع بهيجان كشيم الذي لم يعهده هكذا.

تفرق الجمع والتحق سليم بالمنزل، دخل غرفته وأغلق الباب وقد خابت كل ظنونه: "كيف لم يفهم كشيم قصدي، إنه شر لا بد منه لأحصل على ثقتهم، كل شيء انتهى في رمشة عين، أنا للإخفاق أقرب، بل أكثر من ذلك إذا قبل اقتراحي سأكتب الفيلم دون تحقيق السبب وراء طرحي للأمر، يا للمصيبة!".

طلب ديفيد أكيرما والفرح بادٍ عليه:

- أما رأيت كيف كان حال كشيم؟ يا لها من متعة أن أراه وهو كأسدٍ برزت أنيابه وانتفخ وريده ليبدأ بالزئير، لذلك قلت لك سابقاً موته لن يشفي غليلي، هذا ما يطرب ذاتي.

أجابه أكيرما وقد اندمج معه في متعته:

- نعم لقد أقلقه بشدة اقتراح الشاب.

انقلب ديفيد من الضحك إلى الجد:

- سنبدأ بالعمل على ما قاله، إن اقتراحه كأنّه يتحدث عني، سيكون آخر مسمار أدقه في نعش رجل الدين الملتحي، ولمستي السحرية سأخبرك بها لاحقاً، أما الآن فاذهب وراقب كيف تسير الأمور، أريد منهم إنتاج أكبر عدد من الفيديوهات المبهرة، لأنّ الحماسة قد اتقدت بداخلي أكثر، فليشعلوا لهيب الفتنة لتسريع رفع ستار الحياء عن الإنسان.

- أمرك ديفيد.

أحس سليم بالضيق، فقرر الخروج ليستنشق الهواء المنبعث من الحديقة المجاورة للساحة الكبيرة، طلب منه السائق أن يوصله فاعتذر منه: أريد التجوال ماشياً قليلاً.

لمح عراكاً تجمّع الناس حوله، دنا منه ليتابع ما يجري، وجد رجلين يتصارعان وقد حمل كل واحد منهما سكيناً ينوي شق الآخر به، الكل يتفرج، قرر سليم التدخل لحل مشكلتهما، توسط الجمع واقترب من الرجلين، وقف بجانبهما فتوقفا عن القتال، قال لهما:

- لماذا تتقاتلان، ألا يمكن حل خلافكما بغير القتال؟

قال أحدهما:

- ابتعد عن هنا إذا أردت أن تسلم، لن أتركه حتى أرديه قتيلاً.

وقال الآخر:

- خذ مكانك بين المتفرجين، وتمتع بصراخ هذا الصبي.

صاح سليم:

- تجمعكما الإنسانية، لماذا تحقدان على بعضكما.

أدار نظره حوله الجموع: وهل يعجبكم تركهما هكذا وكأنكم تشاهدون مبارزة بين القرود!

دخل الحلقة بعض الرجال، دفعوا سليم حتى أخرجوه، طرحوه أرضاً، رفع رأسه فوجد هوكو ينظر إليه ويضحك:

- ما بك يا ميلس، دع القوم وشأنهم، استمتع مع البقية بالقتال، إذا استمريت هكذا ستطرد خارج أسوار "ونب نويهص" ولن تعود إليها أبداً.

قام سليم، قال غاضباً:

- إنهما يتقاتلان، ألم يحرك ذلك في نفسك شيئاً؟

- لا، تلك حياتهم ولا دخل لي بهم، لقد علمت أن قتالهما من أجل امرأة حسناء أرادها كل واحد منهما، ولما علمت بذلك طلبت منهما القتال لتكون من نصيب الرابح.

- ماذا قلت؟ من أجل امرأة يقتل الناس هنا بعضهم بعضاً، يا لدناءتهم!

- دعنا منهم يا ميلس، ألم تلاحظ أنني اشتريت ملابس أنيقة؟

كان هوكو يبدو بمظهر مخالف لما كان عليه، فقد بدا أن أحواله المادية قد تغيرت كثيراً، يلبس لباساً غالي الثمن، ناسبه لأنه ضخم مفتول العضلات، لاحظ سليم ما أشار له هوكو:

- إنّ ملابسك جميلة، يبدو أنها غالية الثمن، من أين حصلت على المال؟

أجاب هوكو:

- لقد بدأت بالاشتغال في غرفة الوقت، لأنك كما ترى لا تشرق شمس ولا يطلع قمر، نحن هناك نعد الوقت بكلّ ثانية ودقيقة حتى إذا اكتملت الساعة ندق الجرس إيذاناً بأن ساعة قد مضت.

- نعم لقد كنت أسمع الجرس لكني لم أدرِ الغاية من ذلك.

- الآن قد عرفت، دقة واحدة، دقتنان للساعة الثانية، ثلاث دقات للثالثة وهكذا...

لكنني وجدت العمل مرهقاً فهو يحتاج للتيقظ، تلازم الكرسي طول النهار، تحمل قلماً وأمامك أوراق كثيرة بها مربعات صغيرة هي للثواني، وبعدها سطرت مربعات متوسطة للدقائق، وكبيرة للساعات، أظل اليوم كله أنقر في المربعات حتى تكتمل الستون ثانية، وأنتقل معها للمتوسطة فأنقر نقرة، وأعود إلى الصغيرة ومنها للمتوسطة، حتى تكتمل المربعات الستون لأنتقل للمربع الكبير، فأشير للرجل الذي لا يبرح مكان الجرس ليدقه، وهكذا أعيد الكرة في باقي ساعات اليوم، حتى ينتهي يوم عملي، واليوم الموالي هو للراحة، فجدول عملي يوم عمل ويوم راحة.

- لا فرق بينك إذاً وبين ساعات اليد، أو الحائطية، أو حتى الرملية، مهنتك عد الزمن، لقد أصبحت آلة يا هوكو.

- قد فرحت به، المهم أنني أشتغل وأجني المال، لكن غادرت العمل هناك، فقد قدم علينا أكيرما، شاهد عملي لكنه طلب مني الوقوف وأمر غيري أن

يكمل العد إلى أن أعود، تبعته إلى مكتبه، فبدأ ينظر نحوي بنظرات متصاعدة من الأسفل إلى الأعلى، وقال لي: كيف لرجل قوي مثلك أن يرضى بالاشتغال في غرفة الوقت! أجبته: لم أجد عملاً غيره، فأخبرني أنه يحتاجني لعمل أقوى من ذلك، وبمدخول جدّ مغرٍ، قبلت طلبه فأخذني إلى حراسة الحانات، وقال لي: هذا العمل يتناسب مع شكلك، ستستمتع أكثر به.

ومن يومها وأنا أؤمن الحراسة للحانات، يا له من عمل! لقد سعدت به جداً، نستقبل العاملين والعاملات الجميلات، ويسمحون لنا بالشرب وقتما شئنا، لم أكن أحلم بهذا.

وأنت كيف تسير حياتك الجديدة يا ميلس بعد قبولك في المسابقة؟

- إذا قبلوا فكرتي فسأكتب فيلماً نصوره.

- ممتاز، ولكن لن تنجح إلا إذا تخلصت من فلسفتك.

- وما بها فلسفتي أهي سيئة؟

- لا، ولكن لن تُقبل هنا، المهم فكر ملياً فيما قلت، سألتحق بالعمل الآن، أراك لاحقاً.

مشاهد قتال الرجلين لا زالت مطبوعة في عقله، دلف إلى غرفته، قصد سريره ليستلقي، تمكن منه التعب فنام.

....

استدعى ديفيد أكيرما:

- حضر للاجتماع الآن، أريد كل العاملين في القاعة الكبيرة، لأنهم سيبدؤون التحضير للفيلم الجديد، وأرى أن فكرة الشاب من سانكو هي الأقرب لما في عقلي.

- نعم، ففكرته جميلة، ولكن ألا ترى أنك تتعجل قليلاً، يجب أن نتأكد من ولائه لنا أولاً، فقد يكون مدسوساً بيننا ليعرف خبايانا.

- لا أظن ذلك، إن حاستي قوية أستشعر كل ما يحاك ضدي، لا أنكر أنني لمست فيه الذكاء الذي يفوق من معه، لكنه في الأخير تابع لي كما البقية، يسعى للتقرب منا.

أتى بعد ذلك مبعوث أكيرما إلى المنزل، أيقظ الجميع طالباً منهم الإسراع للاجتماع، لا يزال سليم مشوش الفكر لما جرى في آخر اجتماع، اكتمل الجمع ودلف كشيم وأكيرما، بعد برهةٍ دخل ديفيد، كان كشيم حاني الرأس كأنّ الجبال ألقيت على عاتقه، أما أكيرما فيرمق بين الفينة والأخرى سليم، لاحظ سليم كل ما يجري، حاول الحفاظ على هدوئه دون إثارة انتباه أكيرما،"لا محالة قد ساورهم الشك في حكايتي، فهل يمكن أن أكون تسرعت في أخذ المبادرة لطرح اقتراحي، ربما قد ظنوا أنّ في الأمر خدعة".

بدأ العرق يبرز نقطةً نقطة من جبينه، أعطته إيند منديلاً ليمسح عرقه، ففاجأه قول أكيرما:

- يا شاب سانكو ما بك تتصبب عرقاً؟ لا حرّ هنا فالقاعة مكيفة.

قام سليم وهو يرتجف:

- إنّها حمى بسيطة قد أصابتني منذ الأمس، لكنّها لن تمنعني عن موعدكم.

أفرح ديفيد ما قاله:

- إنّ عزيمتك قوية، وأنا أبشرك أنّ عملك هو سبب جمعي لكم على عجل، ستبدأ في كتابة قصتك، وعند انتهائك ستشتركون جميعاً لإنجازه، أنتم فريق عمل، وحتى لا أنسى، فقد اخترت كشيم للإشراف العام عليه منذ لحظة الكتابة إلى أن يكتمل، لذلك ستبدأ أولاً باجتماعك مع كشيم لتسطير القصة، وتداولا فيما بينكما في كل تفاصيلها.

هزّ سليم مقدمة رجليه، ابتسم محدثاً نفسه "الآن فهمتك كشيم، كل ما يحزنك يحبه ديفيد".

اقترب من سليم رجل كان حاضراً معهم في الاجتماع.

- أريدك لبعض الوقت لكن بعيداً عن هنا، اتبعني حيث لا يرانا أحد، تصرف بطبيعتك.

أجابه سليم باستغرابٍ:

- من أنت؟ وماذا تريد مني؟

- هيا أسرع وستعرف كل شيء في آوانه.

تبعه سليم بعد أن أشار للسائق أنه سيتمشى قليلاً قبل العودة للمنزل، سار خلف الرجل الغريب إلى أن وصل لمقهى يوجد في مكان شبه مهجور، جلس سليم فبادر بالحديث:

- من أنت؟

- لا تخف أنا صديق.

- لا أعرفك، فكيف تكون صديقي!

- ليس بالضرورة أن أعرفك لتكون صديقاً لي، إنك من تلك القبيلة الشريفة سانكو التي لم تركع لديفيد الغبي.

تعجب سليم: "هل يوجد في "ونب نويهص" من يكره ديفيد مستحيل".

- أرى أنك لا تصدقني.

رفع كم قميصه الأيمن.

رأى سليم الوشم الذي رأى في يد إليل، إنه وشم قبيلة آكر:

- مستحيل هل أنت من آكر، كيف دخلت إلى "ونب نويهص" دون أن يكتشفوا أمرك.

- تمكنت من التسلل، هي حيلة قديمة انطلت عليهم، لقد ضمدت يدي ووضعت بعض اللون الأحمر ليظهر كجرحٍ أصابني، لم ينتبهوا جيداً، فأنا هنا قبل خداعهم من طرف إليل.

- ما المطلوب مني الآن؟

- أن تساعدني لكي نغتال ديفيد في الاجتماع القادم، سأدخل معي في المرة القادمة مسدساً أصوبه على جبين ذلك الملعون، وأنت سأكلفك بحماية كشيم وإبعاده خارجاً.

جحظت عينا سليم:

- لا، سنخاطر بحياتنا، يجب علينا التريث قليلاً.

- لا نملك الكثير من الوقت، فعما قريب سيبدأ العمل على الفيلم ولن ترى ديفيد بعدها، ولن تسنح لنا فرصة أخرى للاقتراب منه، أفهمت؟

- نعم، فليكن ذلك.

- إذاً اتفقنا.

- اتفقنا.

- هيا غادر أنت الآن، وبعد قليل سأغادر أنا لكيلا يشعر بنا أحد.

نهض سليم فغادر فرحاً على غير المعتاد.

دلف إلى غرفته ولم ينم طول ليله، يرى استقبال آكر وفرحهم بالنصر الذي تحقق، ويرى عالمه وقد زالت عنه سطوة ديفيد التي لا يعرفها إلى الآن منهم إلا هو.

حان موعد الاجتماع الذي دعا إليه ديفيد من غير برمجة مسبقة، اكتمل عدد الحاضرين، جلس الرجل أمام سليم.

سليم يراقب ديفيد وهو يتحدث، كشيم ثابت في مكانه.

انتهى الاجتماع ولم ينفذ الرجل ما قال لسليم.

قام سليم مع رجال أوصلوه لغرفة ديفيد، أدخلوه، تقدم نحوه ديفيد، وضع يده على كتفه:

- إنك شاب ذكي، ولم أشك فيك ولو للحظة، إنما كان لا بد من التأكد من ولائك، وأنك ما جئت إلى هنا إلا لتخدمني فيما أطلب وليس لأمر آخر، تبين أنك وفيّ ولا غدر فيك، لذلك سأكافئك مكافأة لم أمنحها لغيرك، ستحمل بطاقة تمكنك من دخول القصر وقتما شئت.

- شكراً لك سيدي، لقد أخبرتك أنني أريد أن أكون التراب الذي تدوسها نعالكم، ولي الشرف.

- أحسنت، اذهب الآن وركز عملك على القصة أريدها في شكل جيد.

- أمرك سيدي.

نجا سليم في آخر لحظة من الشراك الذي نصبه له أكيرما، كاد يسقط فيه لأن رؤيته للوشم أظهر له أن الرجل فعلاً من آكر.

حصل على امتياز وتقدم كبير تمثل في البطاقة التي تتيح له الدخول والخروج متى أراد، استغلها أحسن استغلال، كوّن صداقات كثيرة مع العاملين بداخله، فقد كان يجتمع بهم في مطعم يتواجد قرب القاعة الكبيرة بعدة أمتار.

في يوم قدم عليهم خادم ديفيد الشخصي، هو رجل فارع الطول، منفوخ الوجه، أبيض البشرة، خفيف الحركة، يضع نظارات شمسية عريضة،

تفحصه جيداً، تبعته أنظاره إلى أن جلس وحيداً في مائدة تبدو أنها مميزة عن باقي الموائد، قال سليم للخدم الذين يجلسون معه:

- من ذلك الرجل؟

- إنّه خادم ديفيد الشخصي، لا نعرف عنه الشيء الكثير، نادراً ما يتردد على المطعم، وإن أتى فذاك مقعده، يجلس وحيداً غير مبالٍ بمن حوله، يحتسي بضع قارورات من الخمر الخاص الذي لم نذقه في حياتنا.

فكر سليم بضرورة الاقتراب منه، ولكن لم يخطر بباله حيلة تنطلي عليه، قرر تأجيل الأمر إلى حين التفكير في ذلك.

خرج متجهاً للقاعة الكبرى، لأنه موعد الاجتماع الذي كان ينتظره، سيجلس مع كشيم لبدء كتابة قصة الفيلم، دخل للقاعة فلم يجد إلا حراسها يقفون في جنباتها، اتجه إلى مكتب صغير يوجد بجانب المائدة المستديرة فجلس في كرسيه منتظراً قدوم كشيم، ظهر أكيرما ومعه كشيم؛ فجلس كشيم في كرسي مقابل لسليم، وجلس أكيرما بجانبه، فقال الأخير:

- ستبدأان عملكما الآن، وحاولا الإسراع فالعمل في بدايته ويلزمه وقت لتصويره.

تململ كشيم من مكانه مبدياً تذمره:

- هيا لنبدأ، دعنا ننهي هذا الهراء قريباً لنرتاح منه.

قاطعه سليم:

- لا أسمح لك بتسميته هراء، إنه الفن.

- كفاكما مشاجرة، وقوما بالمطلوب منكما.

قال سليم:

- حسناً، نحتاج لبعض الأوراق والأقلام لنكتب.

أشار أكيرما للخدم فأحضروا لهما ما طلب.

نظر سليم لكشيم:

- سأضع أولاً العوارض الكبرى للقصة، وأحدد بعدها الشخصية الرئيسية وكل ما يتعلق بها من صفات خلقية ومواصفات أخلاقية، بعدها الشخصيات الثانوية، وبعدها سأقسمها لفصول وفي كل فصل مشاهد ترتبط مع بعضها كي يسهل علينا بعد ذلك تصويرها.

هزّ كشيم رأسه بموافقة ما قال سليم:

- يبدو أنّك كاتب بارع، كان من الممكن أن توظف براعتك في كتابة ما ينفع الناس، لا أن تبيع موهبتك لهؤلاء الأنذال.

انتفض أكيرما بسماعه لكلمة الأنذال، ومد إصبع التهديد لكشيم:

- لولا أوامر ديفيد لدفنتك حيّاً.

قام سليم، أمسك يد أكيرما ليقوم معه:

- لا عليك، يجب أن تهدأ قليلاً فهو يتعمد إغضابك،اتركني معه فأنا أعرف كيف أتعامل مع مثل هؤلاء.

وافق أكيرما على طلب سليم وغادر القاعة.

اقترب إلى أن عاد إلى مكانه، ضحك بشدة، فنهره كشيم قائلاً: اهدأ، فالحرس من حولنا يراقبوننا.

تمالك سليم نفسه:

- أهلاً بك كشيم، سعيد بجلوسي معك، لقد كبر شأنك عندي لما أخبروني عنك، وعن كل تضحياتك في سبيل عالم الكواليس وعالمي، أنا جدّ محظوظ كوني هنا.

أجابه كشيم بصوت مهموس، وما زال محافظاً على رسمات الغضب في وجهه لكيلا يثير انتباه الحرس:

- وأنا أيضاً تشرفت بشابٍ عظيمٍ مثلك، ولكن أخبرني أولاً كيف حال آكر، والسيد يمار وإليل.

- كلهم بخير ولا ينقصهم إلا أنت، فلا تدري شوقهم الكبير لرؤيتك.

تنهّد كشيم تنهيدةً صعدت من أعماق قلبه:

- لا تدري مدى الحزن الذي ألمّ بي منذ مفارقتي لهم، لكنّني أُكرهت لمغادرة آكر وإلا سيقضى على الجميع.

اقترب منهما أحد رجال القاعة، حمل كلٌّ منهما قلمه بسرعة، وقال كشيم وهو يكتب:

- حاول أن تركز على الشخصيات الثانوية ليكون لهم تأثير على مجريات القصة، أفهمت يا... ما اسمك؟

- ميلس.

- أفهمت يا ميلس.

ابتعد عنهما الرجل ولم يلحظ شيئاً، فقد ظهرا أنهما يشتغلان ليس إلا، خرج ليبلغ أكيرما أنّ الأمور تسير على ما يرام.

مد كشيم ورقة مكتوب فيها:

- سنكمل حديثنا كتابة، تشرفت بك ميلس.

قرأ سليم الورقة، فكتب:

- حسناً، أخبرني كيف يمكننا إيقاف ديفيد.

دفع الورقة.

قرأها كشيم فكتب:

- لا تتسرع، يجب أولاً إنهاء كتابة القصة، واختر أدنى مستوى من الرداءة التي أعلم أنك لم تعتد عليها فبها ستبهج ديفيد ليثق فيك أكثر، آه نسيت إلى أين أخذك الرجال في المرة السابقة، لقد ظننت أنهم كشفوا أمرك بأنك لست من سانكو، ألم تجد غير هذه القبيلة لتنتمي إليها!

ابتسم سليم بعد قراءته الورقة، وكتب:

- لا، لم يكن لانتمائي لسانكو علاقة، لقد شكوا في ولائي لهم فأرسلوا رجلاً رسموا في يده وشم آكر، لقد كدت أُخدع إلا أنني تذكرت في آخر لحظة أن إليل كشفت عن يدها اليسرى وليس اليمنى، وتذكرت جوابها عن سؤالي بأنّ كل من بآكر يحمل الوشم في يده اليسرى، لأعلم أنها خدعة

للإيقاع بي، فقررت لعب دور الوفي الذي لا يقبل بخيانة سيده، قصدت مسرعاً أكيرما وقد أبديت خوفي على ديفيد فقلت له:

- أتيتك لأخبرك أنّ خائناً من آكر يتواجد ضمن طاقم العمل الذي يحضر الاجتماعات معنا، صمتت لبلع ريقي وزفرت عدة زفرات، لا بد من إيقافه يريد اغتيال زعيمنا ديفيد، لقد قابلني محاولاً إقناعي للتعاون معه، وطلب مني إخراج كشيم.

فطمأنني أكيرما:

- لا تخف، سنشدد الحراسة، وسنراقب كل من يدخل القاعة، شكراً على تعاونك.

قرأها كشيم، فانفلتت الورقة من يده لتسقط أرضاً، في تلك اللحظة دخل أكيرما، ارتعد سليم لأنه إذا قرأها سيدفن حيّاً في "ونب نويهص"، فكر بسرعة وأكيرما يقترب، فقام من مكانه لينحني وقد جعل في يده اليسرى باقي الأوراق، تلقفها بيده اليمنى ووضعها وسط الأوراق صارخاً في وجه كشيم:

- كن حذراً، ستُضيع عناءَنا سدى، إن ضاعت منا ورقة سنضطر لإعادتها ولا وقت لدينا لمعاودة ما أنجزنا.

توقف أكيرما "ذاك الفتى يعجبني، سأترك له أمر كشيم".

غادر من جديد القاعة مطمئناً هذه المرة أكثر من السابق.

جلس سليم في مقعده.

- عذراً، شرٌّ لا بد منه.

- قم بكلّ ما تفكر فيه، وقت الحاجة سيلزمنا مثل هذه المواقف، فقد نجوت بفضلها من غدر أكيرما، أحسنت صنعاً أحسنت، لكن ليكن في علمك أنك وحدك من يكره ديفيد، فلا تثق في أحد مهما أبدى تذمره من حكمه.

- لا تخف سأكون حذراً، لقد تقدمت خطوة كبيرة، فقد منحني ديفيد بطاقة تمكنني من دخول القصر في أي وقت شئت، وقد حظيت بثقة من في القصر، أريد أن أتقرب من خادم ديفيد الشخصي، قد أحصل على معلومات مهمة تعيننا للقضاء على ديفيد.

- جيد، أنت تفكر بطريقة رائعة، خذ قلمك، سنكمل كتابة حواراتنا، ولكي لا أنسى يجب تمزيق هذه الورقات والتخلص منها لكيلا تقع في أيديهم.

- حسناً، سأحملها معي كلها، وسأتخلص منها.

بدأ كشيم يكتب توجيهاته لسليم، أخذ سليم في كتابة بعض سطور القصة تحسباً لقدوم أكيرما أو حتى ديفيد.

أعطى كشيم كل ما كتب لسليم فوضعها وسط الأوراق، دخل حارس ديفيد الشخصي، حام حولهما فرآهما منهمكين في الكتابة، اقترب بوجهه إلى الورقة التي يكتب فيها كشيم فرأى بعض الرسوم التي لم يفهم معناها.

تقدم الحارس قرب سليم:

- أنت ميلس.

- نعم، وأنت من تكون؟

- أنا ريمس، حارس ديفيد الشخصي.

قام سليم من مكانه لتحيته.

- تشرفت بمعرفتك سيد ريمس، وسيزداد شرفي إن قبلت دعوتي لنجلس في المطعم نتجاذب أطراف الحديث.

- سأمنحك هذا الشرف، سألقاك قريباً.

أبدى سليم بهجته من قبول الدعوة.

- شكراً لك، إنك إنسان عظيم، سأكتب جلوسي معك في سيرتي الذاتية على أنه حدث تاريخي بالنسبة لي.

زاد كلام سليم من فرحة ريمس.

- اعلم ألا أحد جالسني من قبل، ستكون أنت الأول يا ميلس.

- آه حقاً، يا للشرف أشكرك من صميم قلبي.

انصرف ريمس، جلس سليم في مقعده، فكتب كشيم:

- إنك جيد في إيجاد مكان لك بين هؤلاء المتعجرفين، زد في إطرائهم فذلك يزيد البالون انتفاخاً.

قرأها سليم فكتب:

- إنهم مهووسون كديفيد بسماع كلمات الثناء عليهم، ولن أتركهم حتى تنفجر هذه البالونات الخاوية.

- خذ هذه الورقات وأخفها حتى تقرأها جيداً، تخلص منها بعد ذلك، لأنني سأنصرف الآن إلى لقائنا في الغد.

مدّ كشيم بضع ورقات لسليم منها ورقة بها الرسم الذي رآه ريمس، أخذها سليم وأخفاها بين ورقات القصة، نهض كشيم متجهاً لغرفته، تبعه بعض الحرس ليوصلوه إلى هناك، أما سليم فغادر منفرداً على عجل، أمر السائق أن ينطلق للمنزل، فقد كان متحمساً لقراءة ما كتب كشيم.

دخل سليم للغرفة وأغلق الباب بإحكام هذه المرة، نثر الأوراق على السرير واستلقى على بطنه، بحث بين الأوراق على ما كتب كشيم، فوقعت عينه على رسم تأمله جيداً فلم يفهم معناه، وضعه جانباً وقلّب الورقات، فوجد الورقة الأولى وقد كُتب فيها:

- اسمع يا ميلس، إنّ ديفيد له قدرات لا أعلم عنها الشيء الكثير، إلا أنّني أغضبت أكيرما يوماً، فقال لي: لا يمكنك هزيمة ديفيد مهما فعلت، إن معه قوة تفوق قوتنا جميعاً، أتعلم أين توجد؟

طلبت منه إخباري لكنّه لم يشأ فقد علم أنه استدراج مني كي يكشف عن سر ديفيد.

أخذ الورقة الثانية.

- أول مهمتك هي معرفة هذه القوة، قد يفيدك ريمس إذا أجدت إخراج الكلام منه، فهو يلازمه ولا يتركه إلا في لحظات استراحة ديفيد، حاول التقرب منه أكثر حتى يثق بك، خذ منه بعدها أقصى ما يمكنك من

معلومات، أما عن الرسم فحاول تأمله جيداً وبعد ذلك تخلص منه كما ستفعل بباقي الأوراق.

رجع سليم لورقة الرسم فوجد برجاً ينبعث منه الضوء، ورأى أناساً كثيرين واقفين أسفل البرج لا تظهر ملامحهم جيداً من الظلام المحيط بهم إلا بعض النور الخافت، ووجد شخصاً بينهم منيراً وحده حاملاً قوساً مستعداً للتصويب نحو البرج، وسهمه له رأس براق.

ولكن ما المقصود بهذا الرسم؟ مزق سليم كلّ الورقات المكتوبة، لكنّه ترك ورقة الرسم، فأفرغ بعضاً من ريش مخدته، ووضعها فيها وأعاد الريش إلى مكانه، خرج من غرفته فقصد دورة المياه ليرمي ما مزق، سكب الماء إلى أن اختفت، ذهب إلى القصر لكي يلتقي ريمس.

أتى النادل فأمره سليم أن يأتيه بعصير الليمون، بعض الأرز مع فخذ الدجاج، وسيطلب بعدها سلطة وفواكه، قال النادل:

- إن شئت لحماً طرياً آتيك به، وصلنا قبل قليل.

- لحم بقر أم غنم؟

- لحم خنزير.

انقبض صدر سليم، وقال:

- لا، أحضر لحم الدجاج فقط.

أحضر النادل ما طلبه، ازدرده سليم، فقد كان يتضور جوعاً، رمق ريمس قادماً وقد أفسح له الكل الطريق، نهض من مكانه ليلتقيه، سلم عليه:

- ها هي مائدتي هناك، سأنتظرك حتى تنهي طعامك.

- تفضل، الطعام سيكفينا.

- لا، إنّي لا آكل هنا، كل شيء متوفر عندي، أقصد المطعم أحياناً للجلوس وشرب بعض قارورات الخمر، وتلك مائدتي الخاصة، وإن جلست في غيرها فما الفرق بيني وبين باقي المغفلين المتواجدين هنا.

أنهى سليم طعامه، تقدما بعد ذلك إلى أن صعدا بضع درجات فجلسا في مائدة ريمس الخاصة، كانت مائدة كبيرة وعليها غطاء من حرير مذهب،

تتوسطها شمعة صفراء تنبعث منها رائحة طيبة، وضع فيها قارورات صغيرة من الشراب الأبيض اللون، تفحص سليم المائدة فقال:

- إنّها مائدة مميزة حقاً، إنك فنان في اختيار جو جلوسك.

- إذا قصدت المطعم فلا مكان لي إلا هنا - قدم لسليم الشراب – ذُقْ هذا لن تجد مثله مهما فتشت عنه.

أحس سليم بالحرج.

- لقد طلبت للتوّ عصير الليمون لتساعدني حموضته على التيقظ لمجالستك، لأنني أكثرت من الشراب، لكنّني لن أرد طلبك، سأحمل معي قارورة أحتسيها في غرفتي.

- حسناً، خذ منها ما تشاء، إنّها من معمل خاص يعصره خصيصاً لديفيد، لذلك هو غير متوفر للجميع.

- سنحت الفرصة لسليم لما ذكر ديفيد فقال:

- ما مدى تعلقك بالعظيم ديفيد؟

- وهل يُسأل الابن عن أبيه؟

ضحك سليم:

- مثال جميل يا ريمس، لقد بينت لي المقصود.

لكن ريمس تمعر وجهه.

- ليس مثالاً، إنه أبي فعلاً.

خفق قلب سليم: "أمعقول! هل يمكن أن يكون ابنه، لا عليّ التريث قليلاً، لا يمكنني الوثوق به".

- لا بد أنك تمزح.

لكن ريمس أجاب بغضب، وقد تورد وجهه بالدم أكثر:

- قلت لك إنه أبي، ولكن لا أحد يعرف، فقد جعل مني خادماً له ألازمه طول الوقت كظله.

"لا أجده كاذباً، ومع ذلك عليّ توخي الحذر"

- إذاً أنت ابن عظيمنا ديفيد، يا لي من محظوظ!

تجرع ريمس كأساً من الشراب بمرارة، بدأ يثمل:

- عن أي عظمة تتحدث، إنها حياة البؤس يا ميلس، وأنا لن أسامحه، كنت متعلقاً بأمي كثيراً، فقد عانت الويلات منه، كان في شجار دائم معها، ويهددها بالقتل إذا لم تتراجع عن أفكارها ورأيها فيه، لأعلم بعد مدة أنها لم يكن يرضيها ما يفعل، بقينا على تلك الحال وقد شدد عليّ الخناق، كان يمنعني من الخروج للعب مع الأطفال ويقول لي: إنّ كل شيء متوفر عندك لا حاجة لك للخروج، ولما صرت شاباً كنت أرافقه دون أن يقدمني على أنني ابنه، همّه كله منصب على إفساد الناس، كان على استعداد أن يمسح على وجه الأرض كل من يعاديه، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم حينها سمعت الصراخ من غرفته، قمت من سريري واتجهت نحوها، لأفتح الباب فأذهل أن أمي مستلقية أرضاً غارقة في دمائها، وديفيد ينظر نحوي جاحظ العينين

وفي يده سكين ملطخة بالدماء، جثوت على ركبتيّ وأغمضت عيني، اقترب مني وقد أخفى عني السكين، قال لي: إنّ أمك قد انتحرت، لقد حاولت منعها فحملت السكين وغرسته في بطنها، أسرعت لأخرجه لكنها فارقت الحياة، أراد خداعي لكنني فهمت أن أمي لم تستعذب ما كان عليه، فتوالت النزاعات بينهما ولم يجد طريقاً آخر لإسكاتها غير قتلها، عليه اللعنة.

سليم ينصت، ولم يدرِ أقصة ريمس حقيقية! أم أنها محاولة من محاولات أكيرما للتأكد من صدقه!

حاول تهدئة ريمس الذي دمعت عيناه فمسحها بسرعة، نهض دون أن يودع سليم ورحل.

"إنّ شكل ريمس لا يعكس أبداً القوة، نعم فهو قوي البنية لكن بداخله طفل صغير، هذا إن كان ما قاله صحيحاً، ولو أنّني أحس بأنه صادق فعلاً، فلم أشاهد في حياتي تمثيلاً بهذه الدقة، لقد كان يحكي ويتنهد كأنّ السيوف تغرس في قلبه، يصمت لما تتعبه الذكرى المحفورة في فكره، فيتوقف وكأنّه يحتضر، لا بد أن أتبع هذا الخيط حتى أصل للحقيقة".

.....

شرد سليم وفي خلده تتردد كل التفاصيل التي سمعها من ريمس، حتى تنبّه لنداء إيند، استدار فوجدها مقبلة نحوه، وبابتسامة بهية على محياها قالت:

- ما بك ميلس، فقد ناديت عليك أكثر من مرة.

- عذراً كنت مشغولاً ببعض تفاصيل قصة الفيلم.

- جيد، هذا ما كنت أود سؤالك عنه، أيمكن أن أتمشى معك قليلاً؟

- لا مشكل، سأقصد الحديقة لأجلس قليلاً هناك، إن شئت ذهبت معي؟

- لن أرفض دعوتك، هيا بنا.

سارا إلى أن وصلا للحديقة شبه الفارغة، فلا يجلس بها إلا أناسٌ قِلّة، أغلبهم من الشيوخ، كان الجميع متفرقين على الحانات والساحات، ينتظرون ليلة الفرح والسرور، ليسهروا إلى الصباح، سألها سليم:

- ألن تسهري الليلة معهم؟

- لا، لا أريد أن أسهر هذه الليلة، أحببت قضاءها بشكل طبيعي، إلى الغد وأسهر.

- إيند هل تعبت من رتابة هذه الحياة؟

- لا أكذب عليك، فكرت طويلاً فيما قلت، وكلامك صحيح لكنّني أشعر وكأنّ السلاسل قيدتني لتجرني إلى السهر حتى أغيب فلا أشعر بنفسي إلى أن أستيقظ وكأنّني كلب الشوارع الذي أتعبه ملاحقة الناس له بالحجارة، أردت مراراً التخلص من هذه العيشة دون أن أنجح.

رفع سليم رأسه إلى السماء:

- لقد سُلبت إرادتكم منكم، أنتم لستم أنتم، إنما هو.

- لم أفهم شيئاً مما قلت، ولكن انسَ الأمر، هل حددت شخصيات الفيلم، أريدك أن تمنحني دوراً يكون ظهوره في الفيلم مهماً ومثيراً، أما صفاتها فصرت تعلمها الآن طبعاً.

- الشابة المثيرة التي يسقط من رآها في هواها، فتتمتع بذلك لأنها تحب من يستسلم لها.

- الآن فهمتني ميلس، وضربت على كتفه.

التفت سليم لينظر إليها:

- لكنّني لن أدرج هذا الدور في القصة.

- تفاجأت من قوله:

- ولكن لمَ؟ هو دور أساسي، ولن ينجح الفيلم بدونه، ينبغي أن تضع في الحسبان أنّ ديفيد لن يقبله.

- إذاً لن تتراجعي عن الدور، أنت مصرّة على لعبه ولو على حساب إذلال نفسك.

نهرته، طلبت منه أن يصمت، تلألأت عيناها بالدمع:

- لقد كنت في قبيلتي أبيت الليل أتقلب دون أن يسدل لي جفن من بكاء إخوتي الصغار، وأمي التي لم تدخل إلى البيت بعد، كانت خادمة في منازل أولئك الأغنياء ليرموا لها قليلاً من المال، تأتي وظهرها أخذ في التقوس من شدة التعب، تأتينا ببعض الطعام ولا تأكل منه إلا القليل لكي يكفينا، فهي معيلنا الوحيد بعد وفاة أبي الذي تهدّم عليه سور من البناء الذي كانوا يشيدونه لرجل أعمال ثري، أسرعوا لدفنه كأنّه حيوان خافوا أن ينفق لئلا تنبعث منه رائحة العفن تؤذي أنوفهم، فأين هو الإذلال الذي تتحدث عنه، أن أرجع إلى حياتي القديمة المسدودة الأفق لأعيشها والآلام تعتصرني في

كل حين، أنا هنا على الأقل سأشتهر وسأكسب المال أعيل به أسرتي، فكم شيد أبي من بنيان وما عرفه أحد، لا أريد أن أكرر خطأ أبي وأمي، أريد أن أحيا حياة طيبة لا ينقصني فيها شيء، ولا أتعب مع أبنائي بتحمل ما لا يستطيعون.

وضعت إيند رأسها على كتف سليم، وصوت البكاء في صدرها يسمع كالصفير، أبعدها سليم عنه، نهض محدقاً بها:

- إنّ أباك مات بشرفٍ، وأمك تحملت مشاق الحياة بشرفٍ، وأنت تريدين تضييع تضحياتهم.

زاد حزن إيند، فقد خاطب سليم فطرتها التي بنى ديفيد حولها أسواراً من حديد، قامت معه فرافقها إلى أن وصلت لغرفتها، فتحت الباب:

- شكراً لك يا ميلس، إنّك إنسان طيب، لم يسمعني قبلك أحد مثل هذا الكلام، كل من يصادفني يريدني أن أمتعه ليرمي بعض المال على وجهي ويأمرني بالرحيل، لقد أشعرتني أنّ هناك ما يستحق الحياة لأجله، وأرقاه هو الشرف، شرف الحياة الطاهرة.

أغلقت الباب لتجلس مسندة ظهرها عليه وأجهشت بالبكاء.

دخل سليم غرفته مرهقاً مما سمع من إيند وريمس، تمر من أمامه صورتهما وصورة هوكو وكل من بـ"ونب نويهص".

"هذا ما سمعت إلى الآن، وإلا فلكلّ من يعيش هنا حكاية تؤرقه ويريد تناسيها باندماجه فيما يريد ديفيد، إنهم ضحايا ليس كما ظنوهم أهالي آكر، وهذا ما يزيدني إلا إصراراً على تخليصهم أيضاً من هذا الملعون، ولن أذخر جهداً ولو كلف ذلك حياتي".

يا ترى ماذا فعلت يا ميلس، منذ رحيلك وقلبي منقبض، لا أدري أخوفٌ عليك، أو خوفٌ أن نكون كتبنا لك قدر الفناء بعالم الكواليس، لكن لم نخترك نحن، أنت اخترت نفسك بنفسك، وإلا لقادني الخاتم لغيرك، لقد اشتقت لكلامك الذي يبدو بدون تكلف، تقول ما تحسه دون تنميق، ينفذ كلامك من سمعي ليستقر في الخلَد، وجهك الطفولي تطلع معه شموس وأقمار وكوانين كأنها انبعثت منه، ولحيتك التي زادتك وقاراً رغم صغر سنك، وضحكتك البهية التي تحيي من أماته اليأس لتوقظه من رقدته، مشيتك الثقيلة التي تطيب الأرض كلما لامستها رجلاك، كل من رآك أرسلت ملائكيتك إلى قلبه، حرصك على عالمك الذي أعيته الماديات اللعينة، كم اشتقت يا ميلس إلى دعابتك الجميلة التي لا تخدش الحياء، ولا تتحدث عن عيوب الناس وهفواتهم لتجعل من ذلك محط سخرية لاذعة.

انحبست أنفاسها، أدمعت عينها، كثُرت زفراتها.

سمعت طرق الباب فأجابت:

- من؟

- إنني أنا يمار.

أسرعت لمسح دموعها، تقدمت لفتح الباب:

- مرحباً يمار، أرى أنك سهران أيضاً.

- نعم، لم يهدأ لي بال، فوجدتني أحتاج للحديث مع أحدهم، أول من فكرت به أنت إليل، نظرت نحو النافذة فرأيت النور منبعثاً منها، علمت أنك لا زلت مستيقظة - لاحظ عينيها الدامعتين - ما بك هل أصابك شيء؟

أجابت كالمتهم:

- لا شيء، فقط الهواء قد أصاب عيني فأدمعت.

اتجه إلى النافذة فأغلقها:

- نعم فالجوّ بارد.

- يا سيد يمار، كنت أفكر في ميلس، وهل هو بخير أم أنّه كشف أمره.

فهم يمار سبب دموعها، لكنّه لم يُبدِ ذلك:

- لا تخافي، ميلس شاب ذكي، ولا يمكن لأولئك المغفلين أن يحسوا بشيء.

أجابت بسرعة والتوتر باد عليها:

- ولكن ماذا لو كشفوا أمره فحكموا عليه بالموت، آنذاك لن أسامح نفسي.

اقترب منها، أمسك برأسها وضمها إليه:

- يا إليل، كل شيء يسير بقدر، ما لنا إلا الانتظار حتى نعلم ما حصل.

- إلى متى الانتظار؟ أحسّ كأنّنا خونة سلموا قائدهم للعدو.

نظر إليها وقد انفك من عناقها:

- الظاهر أنّ قلبك من يتكلم، هل تعلقت بميلس يا إليل؟

أشاحت بصرها عن يمار ناظرة عبر نافذة غرفتها، تمكن منها التوتر، بدأ قلبها ينبض، فاحمرت وجنتاها خجلاً، قالت متمتمة:

- لا، لا، إنّني أحس بالذنب تجاهه لا أقل ولا أكثر.

- أتخفين عليّ وأنت من تربى على يدي؟ منذ وفاة أبيك وأنت ابنتي التي لم ألد، كذلك لما لحقته أمك، ألا تذكرين ابنتي لما كنت أحملك على كتفي، ترمقين بائع الحلوى، أقصده لأشتري لك واحدة، أمدها إليك فيستبشر وجهك وتأخذين في لعقها مقبلة رأسي، لقد كنت أشعر بكل أحاسيسك يا إليل، وها أنت قد كبرت وما زال طبعك لم يتغير، تدارين ما تُحسين، وذلك لا يخفى عليّ.

ابتسمت وما زال دمعها في عينيها:

- أبي، أنت محق.

بش وجهه، أجابها وقد رفع يدها إلى وجهه:

- إليل، لقد أسعدني جدّاً مناداتي أبي، لم أسمعها منذ زمن طويل.

قبلت يديه قائلة:

- عذراً، فعملنا مع بعضنا قد أنساني قولها، لذلك يا أبي لا أخفيك أنني أحس بالرجفة كلما وقف أمامي ميلس، لما رحلت إلى عالمه راقبته طويلاً، شعرت كأنّني أولد ولادة ثانية، علاقاته كانت طيبة مع كل الناس بلا استثناء، ويا لها من فرحة لما وجدته يركض سريعاً إلى آخر الشارع ليقف

بقرب سيدة عجوز ترددت في قطع الطريق من الزحام الذي كان فيه، سيارات وشاحنات ودراجات مجيئاً وذهاباً، تصور أنّ لا أحد اقترب منها، وجدته قد أمسك يدها وداعبها بلطف، ليسير معها إلى أن أوصلها حيث أرادت، أتعلم أبي قمة الإنسانية تظهر في أبسط الأمور، من يومها وأنا أتلهف لموعد لقائه، يحب والديه حبّاً شديداً، ومجدّ في دراسته، لا يلقي بالاً لمن يسخر منه ولا من يريد أن يجره للرذيلة، ولو أنني قد أخفته حين ظهرت له، فقد تعجّب من أمري، وانشغل بالتفكير فيّ، ولما عرضت عليه مساعدتي لأن في ذلك خير للناس، لم يتوانَ عن قبول طلبي بالرغم من أنّه لا يعلم شيئاً عن عالم الكواليس، هي روحه الزكية من تحركه وليس بدنه، آه لو أصابه مكروه فأنا أفضل الموت أيضاً، تنهدت بعدها وسكنت.

- إليل ابنتي، إنّ في نفسك ونفسه شيء يستعد الكثيرون لشرائه بكل ما يملكون، لا أدري ما شعوره تجاهك، لكن الأرواح إذا تجانست لا تفترق أبداً ولو فنيت الأجساد، ولا تخافي لن يصيبه مكروه، تمني له التوفيق، كلنا معه ولو أنّنا بعيدون عنه، ولا تخجلي أبداً من إبداء ما تحسين، لأنك لم تختاريه، هو الحب يهجم على القلوب دون أن يستأذن، يلتف عليه فيتملكه ليسلبه، فيصير النبض فيك والقلب مع غيرك.

قبّل يمار رأسها:

- سأتركك إليل، ولكن حاولي عزيزتي أن تستريحي قليلاً.

قبّلت رأسه أيضاً:

- شكراً لك أبي يمار، سأحاول النوم على أمل أن يكون الغد أجمل.

- دائماً الغد أجمل بنيتي.

- نعم، فكما تعلمت منكم، اليائس ميتٌ ولو أنه حي جسدا.

استلقت على سريرها هائمة مع صورة ميلس، راسمة أحداثاً في مخيلتها مجيء ميلس وكشيم، والقضاء على ديفيد، ناظرة لسماء تشرق منها الشمس كما وعدها.

اسيقظ سليم باكراً، اتجه نحو القاعة، طلب مقابلة كشيم، أحضروه ليجلس معه في المكتب، لم يأتِ معه هذه المرة أكيرما لأنه وثق في سليم وظنّ أنه معذبه الجديد، لاحظ كشيم في سليم إصراراً وعنفواناً لم يلحظه فيه من قبل، فقال له:

- ما بالك يا سليم، هل أغضبك أحدهم؟

- نعم لقد ازداد كرهي لديفيد أكثر، إنّه شيطان في صورة إنسان، لقد أفسد كلّ ما هو جميل في الإنسان.

- يجب أن تهدأ، لا داعي للانفعال.

- لم تسمع يا كشيم ما سمعت، إنّ كل من "بونب نويهص" ضحايا جرّهم ديفيد بسلاسل الفقر والجوع والتسلط الذي عانوه في قبائلهم، وأعتقد أنّ هذا مقصود، فهو يسيطر على قادتهم ليكونوا تابعين لنفوذه، يضيقون على الناس ليضطروا للمجيء لـ"ونب نويهص"، فيبيعون أنفسهم له، بل حتى ابنه لم يسلم من جبروته.

اندهش كشيم:

- كيف عرفت كلّ هذا، هل قابلت حارسه الخاص؟

- نعم قابلته، وقابلت شابة أخرى وقد حكوا لي مرارة ما عاشوا، أما ريمس فمعاناته أصعب.

- من يكون ريمس؟

- إنّه حارسه الشخصي، لقد صُدمت لما أخبرني أنّه ابنه.

- ماذا ابنه!

- نعم إنّه ابنه لكنه يحمل كرهاً شديداً له، وأيضاً فقد قتل أمه وهي زوجة ديفيد لأنها لم توافقه على أفعاله الخبيثة.

- ذلك الملعون، لم أظن أنه قد يدوس على أسرته من أجل نزواته، لقد فقد إنسانيته كل إنسانيته.

فجأة سمعا صوت فتح الباب، حملا قلمهما وبدأا بالكتابة على الأوراق، دخل ديفيد ليدنو منهما في صمت كالمتخفي، أما هما فظلا مركزين على الأوراق، ألقى ديفيد التحية فرفع سليم رأسه، نهض، قال في ارتجافٍ:

- سيدي ديفيد، شرفتنا بحضورك.

لاحظ ديفيد ارتجاف سليم، الذي كان من الشدة التي وقعت عليه لما حكى لكشيم ما حكى:

- هذا الارتجاف من عظمتكم، لا يمكن للواقف بقربك أن يقف سوياً.

أخذ ديفيد جنون العظمة فابتهج:

- أعرف، لست أول من حصل معه ذلك، لقد كان البعض يغمى عليه ليسقط أمام رجلي، فيحمل على الأكتاف من هول أبهتي.

تعمّد كشيم الضحك بصوتٍ مسموعٍ ليستفز ديفيد:

- ها قد بدأ الأسطورة بحبك خرافاته.

نظر ديفيد نحوه بحنقٍ شديدٍ، فرد سليم على كشيم:

- دعك من هذا الاستخفاف، أما آن الآوان أن تستسلم، إنّه المنتصر والكل يشهد إلا أنت وقبيلتك، ما أنتم إلا أعداء النجاح.

قام كشيم غاضباً:

- إنّ قبيلتنا أشرف بكثير من أن تذكرها بسوء، لم نبع أنفسنا لديفيد كما رضيت ببيعها له أنت.

نظر ديفيد لسليم وقال:

- لا عليك، إنّ الحسد يغلي بداخله، اجلس وأكمل عملك، ولا تنسَ أريد أن يسيح دم آكر في أرض "ونب نويهص".

كأنّ قطعة ثلج في بردٍ شديدٍ ألقيت على عاتقه "مستحيل يريد أدواراً يموت أصحابها، إنّها مصيبة"

أما كشيم فقام مزمجراً:

- لن أسمح لك بقتل المزيد، لقد قبلت بقدومي هنا لتدع آكر وشأنها.

- لا عهد لك عندي - أشار لسليم - اكتب ما أطلبه منك.

- حاضر سيدي.

غادر ديفيد القاعة متبختراً وهو يضحك، جلس سليم مصدوماً، وكشيم قبض راحة يده وضربها على المكتب.

صمتا لبضع دقائق ثمّ قال سليم:

- لا بد أن نسرع لإيجاد حل لهذه المصيبة، اقترب موعد إنهائنا للقصة، وسيبدأ التصوير بعدها مباشرة، ولا مفرّ من كتابة أدوار الموت تلك، وإلا سأكون محط شك وما زلت لم أحقق المراد.

- هل قرأت الأوراق؟

- نعم قرأتها.

- يجب أن تعرف قوة ديفيد.

- قد يساعدني حديثي مع ريمس لكشفها، اخترت ألا أسأله مباشرة، فالبرغم من غلبة ظني أنه صادق لا أدري ما يخفيه، قد يكون أكيرما من أرسله إليّ.

- لا بد أن تتأكد من الأمر، وتذكر كل ما يقول لك، قد تجد بين ثنايا قوله ما يرشدك.

- حسن، سأحاول قدر استطاعتي، آه تذكرت ماذا تقصد بالرسم؟

- إنه رسم تذكرته لما أجلسني ديفيد معه في المنصة ليغيظني بتلك الجموع المتجمهرة من أجل رؤيته وسماع كلامه، بقيت عالقة في ذهني فرسمتها، من هناك لا نرى وجوه الناس، فتخيلت رجلاً يحمل قوساً كما رأيت في الرسم موجهاً سهمه نحو ديفيد ليرديه قتيلاً، هيّا أكمل يا سليم الكتابة، قد يطلبون منك عملك في أي وقت.

أكمل سليم كتابة قصته والرسم بين عينيه، مرت قرابة النصف ساعة فدخل ريمس إلى القاعة، رمقه كشيم نظرة مشفق، دنا منهما وطلب من سليم القيام معه لبرهة، أبعده عن كشيم قليلاً:

- ألا تريد أن تسهر معي الليلة.

- لماذا ألن تكون مع ديفيد؟

- لا سيخرج معه غيري، لقد أخبرته أنني أحس بالتعب.

- حسناً، سأتشرف بذلك.

شد ريمس يد سليم:

- لا تتأخر أكثر من ذلك، أحتاج الحديث معك.

انبهر سليم بصدقٍ هذه المرة:

- لا يمكن التأخر عنك سيدي ريمس.

- لا تقل سيدي.

- وبمَ أناديك؟

ضحك ريمس وبدا عليه الارتياح:

- قل صديقي.

- حسناً صديقي ريمس.

عاد سليم لمكانه، فسأله كشيم:

- ماذا يريد منك؟

- يريدني مجالستي.

- فرصة مناسبة، قد يخبرك عن أمور مهمة.

أحنى سليم رأسه:

- لم أعتد استغلال أحزان الناس، قد يكون خلاصه أيضاً بين يدي، سأوافيه الآن، أراك لاحقاً كشيم.

- بالتوفيق ميلس.

ريمس ثملٌ وبالمائدة تسع زجاجات خمر فارغة، ومثلها مملوءة، وبمجرد رؤيته لسليم جالساً أمامه استبشر، فقال:

- مرحباً بك صديقي ميلس، كما ترى أخبرتهم ألا يدخل أحد هنا لننفرد ببعضنا، لقد أحببتك جداً، إنّك إنسان مختلف عن هؤلاء الهمج الذين لا يعون إلى أين هم سائرون، كالراعي يحمل عصاه على غنمه فتفزع راكضة حيث أراد، وأبي هو الراعي، بل ليس أبي إنّه ديفيد الملعون أسوأ راعٍ في تاريخ البشرية، وأنا لا شيء أراقب ما يحدث دون تحريك ساكن، إن أمي كانت أشجع مني على الأقل ماتت وعلمت لِما ماتت، لم ترضَ بالظلم ورضيت به أنا، صرخت في وجهه ولم أصرخ أنا.

قاطعه سليم لما رآه قد بدا في حالته الأولى نفسها:

- كل شيء يجري بقدر، لا تعذب نفسك أكثر، مرت سنين عمرك وبقيت محصوراً بين ذكرياتك الأليمة، تحرر من كل ذلك وقم بما تراه صواباً.

- لا أدري ما الصواب! كم مرة راودني شعور غريب يدفعني لقتل ديفيد، لكنني أتراجع كلما دنوت منه، كمفعول السحر في المسحور، ولا شك أنه تعلم السحر فوحده يعطيه القوة التي يملك.

أراد سليم سماع المزيد، لأنه الأقرب لديفيد ولا محالة يعرف عنه الشيء الكثير:

- ألا ترى فيه شيئاً غريباً؟

تفوّه ريمس، وتذكر تاجه الذي لا يزيله ولو عند نومه:

- التاج، التاج، لا يفارقه.

تذكر سليم أيضاً التاج الذي يراه على رأسه، ففاجأه ريمس بوضع رأسه على المائدة محملقاً فيه، قال بصوت متثاقل:

- أنت غريب يا ميلس، ما تجود به قريحتك لم أسمع مثله من قبل، تمنيت لو أنّ الكل مثلك، آنذاك لن يركعوا لديفيد مهما حاول.

- لست غريباً، لم تتربوا مثل تربيتي، فتحتم أعينكم وأول ما سمعتم كان ديفيد لذلك ظننتم أنه سيدكم ومخلصكم.

قال بعد أن ضرب بقبضة يده المائدة:

- صحيح، كلامك كله صحيح، لقد أعياني حالي هكذا، وأريد التخلص منه، لكني مسلوب الإرادة، سنين مرت هباء ولن أستمر في تضييع ما بقي.

قام ريمس وعلى محياه إشراقة:

- سنلتقي لاحقاً، أريد أن أنام لأحلم بما أريد، فما لي غير الأحلام ملاذا الآن.

- اذهب ريمس، تحتاج لبعض الراحة، أنت إنسان جميل الصفات عكس ما يظهر عليك من شدة وقوة.

غادرا معاً، لم يستطع ريمس المشي، فأعانه سليم، إلى أن وصلا إلى غرفته القريبة من غرفة ديفيد.

هي غرفة فسيحة، سريرها كبير، مرتبة ترتيباً جيداً، رأى سليم دولاباً مفتوحاً مليئاً ببذل سوداء، ستائر النافذة قاتمة، حتى طلاؤها ليس مريحاً لناظره.

مدد سليم ريمس على سريره، فقال بصوتٍ متهدجٍ:

- شكراً لك ميلس.

- إنّ الألوان تبهج النفس، فلمَ كلّ هذا السواد!

- وما الحاجة للألوان؟ قد غابت الشمس منذ سنين، السواد أينما اتجهت.

تنهد سليم كأنّه يرثي حال ريمس، وقال بصوتٍ خافتٍ حزينٍ:

- نم الآن، ولا تفكر في شيء.

خرج سليم، ركب السيارة قاصداً المنزل، وهو في الطريق رمق إيند مع بعض الفتيات، طلب من السائق التوقف، نزل وأمره بإكمال طريقه، دنا من حلقتهن فألقى التحية على إيند التي كانت تتحدث معهن، استأذنت منهن لتقف أمام سليم:

- مرحباً ميلس، ماذا تفعل هنا؟

- كنت عائداً إلى المنزل على متن السيارة، فرأيتك مع النساء، ظننت أنك تواجهين مشكلةً ما.

- لا أواجه أية مشكلة، إنهنَّ من قبيلتي، ولقد أخبرتهن بما أخبرتني به، فأعجبهن حديثي، إنهن مسكينات مثلي، أتى بهنَّ ما أتى بي، تعال يا ميلس، يردن سماعك لقد أخبرتهنَّ عنك.

انفلت سليم منها، فلا يمكن أن يعرف بنفسه لأنه لا يضمن أن يكون بينهنَّ جاسوسة تنقل الأخبار لأكيرما وأعوانه:

- لن أحدثهنَّ، استمري أنت معهن، سأغادر لدي عمل أريد إنهاءه.

- حسناً، قبل أن تغادر أريد أن أطلب منك أمراً.

- ما هو؟

- الدور الذي تمنيت لعبه، حاول ما أمكن التقليل من خلاعته.

- ماذا! هل أنت جادة؟

- نعم، سيكون آخر دور لي، سأعود إلى قبيلتي، وصديقاتي أيضاً هذا ما ينْوِينَ، اتفقنا على القبول بحياتنا الفقيرة هناك على أن نذل أنفسنا، أشكرك لأنّ هذا القرار ما كنت لأفكر فيه لولاك.

تزاحمت أحاسيس سليم في صدره، إنّه الفرح برؤية هذه الشابة التي تغيرت بسببه، نظر إليها مبتسماً:

- كنت أعلم أن فطرتك ستستيقظ قريباً، سأحاول أن أزيل مشاهد كثيرة كنت ستظهرين فيها.

- وأنا سأنقل كلامك لكل من أثق به على أمل أن أوقظهم كما أيقظتني.

ودعها سليم، أكمل سيره سعيداً، وصل إلى المنزل فصعد لغرفته، أخذ قلمه ليفكر في الفيلم المكلف به، كان قد شارف على الانتهاء، ولكن أمره ديفيد أن يكتب أدواراً يموت فيها أهالي آكر، لم يستطع في البداية، لكنّه مضطر للانصياع لأمره، أخرج رسم كشيم ووضعه أمامه، أطال التحديق به، سمع

طرق الباب وخادم المنزل ينادي عليه، أسرع لإخفاء الأوراق ووضعها أسفل مخدته الكبيرة، قام لفتح الباب:

- سيد ميلس، ينتظرك رجل يريد مقابلتك، لقد أخبرته أنه وقت راحتك لكنه أصر على لقائك.

فزع سليم: "أيكون مرسول أكيرما من جديد! أما زال الشك يحوم حولي!"

- حسناً، أخبره أنني سأقابله بعد خمس دقائق.

- أمرك سيدي.

أقفل سليم الباب: يجب أن أستعد لملعوبهم جيداً، نزل لغرفة الاستقبال، فاندهش إنّه هوكو!

استقبله هوكو ووجهه عبوس، وفي عينيه يظهر الندم الشديد على ذنب عظيم اقترفه:

- ميلس صديقي لقد اشتقت لرؤيتك، لم نلتقِ منذ زمن، أنسيت صاحبك؟

- لا، لم أنسك أنت الذي انشغلت عني بعملك.

أحنى هوكو رأسه وهمس:

- أي عمل، إنه الموت البطيء.

- إنّ الاشتغال كآلة الوقت أشرف بكثير من حراستك للحانات.

دنا هوكو، أمسك يد سليم:

- أرجو أن تسامحني، لقد أخطأت خطأ جسيماً.

- بل أخطأت في حق نفسك.

- هل عندك حل للمأزق الذي أنا فيه، لقد تعبت يا ميلس تعبت، كانت متعة فأصبحت عذاباً أعيشه في كل حين، لم أعد إنساناً، بل حيواناً يتبع غرائزه.

- ألم أخبرك بالحقيقة لكنك قلت عنها طلاسم، هل انفكت عقد عقلك لتستوعب طلاسمي؟

بكى هوكو بحرقة:

- استوعبتها جيداً، وكلما التقيت بمن يريد الاشتغال فيها نصحته أن يبتعد.

- حسناً، ما عليك الآن إلا أن تصبر، عليك أن تنصرف حتى ألتقيك لاحقاً، وكن حذراً، لا تتحدث مع كل من تلتقي، بل انتقي أهل الثقة، أفهمت؟

- نعم فهمت، شكراً لك ميلس لقد أحييتني بعد أن كاد اليأس يقتلني.

عاد سليم للغرفة، أخرج الأوراق وأعاد تفحصها، وبدأ يفكر في كيفية إقناع طاقم العمل بما في ذهنه، تذكر إيند: نعم قد تساعدني، لقد اختاروها للتمثيل، أعاد النظر للرسم.

خرج قاصداً غرفة إيند، طرق الباب ثلاث مرات، فسمعها تجيب وقد دنت من الباب:

- من؟

همس:

- أنا ميلس، افتحي بسرعة.

فتحت إيند، فدخل:

- ما بك ميلس؟

- لا شيء، انسللت لكيلا يراني أحد، المهم أحتاجك في خدمة إن شئت مساعدتي.

- ما الأمر ميلس، تحدث سأساعدك.

- تعلمين أنّ غداً الاجتماع الأخير قبل بدء التصوير، وأريد منك تنفيذ ما ستسمعين دون زيادة ولا نقصان.

ركزت إيند مع كل ما قال سليم:

- اعتمد عليّ، ولكن قد يكون خطراً عليك؟

- لا تخافي نفذي الأمر فقط، سأغادر الآن.

تسلل سليم خارجاً من غرفة إيند، وتوجه إلى القصر طالباً مقابلة أكيرما، أوصلوه إلى غرفته فوجده لا يزال سهراناً غارقاً في ثمالته، ألقى عليه التحية:

- سيدي العظيم أكيرما، أريدك في أمرٍ مهمٍ، واعذرني لأنني قاطعت سهرتك.

أجابه متراخياً:

- لا عليك، ماذا تريد؟

- ألا يحلو لك ولديفيد رؤية كشيم يتألم أكثر، عندي اقتراح يجعلنا نتلذذ بذلك.

- هيّا، أسمعك فما استمتعت يوماً بشيء بقدر استمتاعي بذاك الوغد يتألم.

أخبره سليم، فابتهج:

- إنّك شاب لعين حقاً، سأخبر ديفيد وكن متأكداً أنه لن يرد طلبك.

- شكراً سيدي أكيرما، لقد أنبأتكم أنني تراب نعالكم، أستأذنكم للانصراف.

خرج يسابق الريح ليسأل عن هوكو، أرشدوه إلى منزله، دق سليم الباب ليخرج بملابس النوم:

- ميلس، أهلاً تفضل بالدخول.

- عذراً ربما أتيتك في وقتٍ غير مناسبٍ.

- تفضل، لنكمل حديثنا.

جلسا على كنبة في الصالون، فقال سليم:

- كم رجلاً إلى الآن تقبّل كلامك؟

- لم أعد ولكن بالتقدير قد يكون قرابة الخمسين.

- جميل، وهؤلاء إن احتجناهم في مهمة أيقبلون؟

- أية مهمة؟

- سأخبرك.

- سأرى بعد أن أعلمهم.

حضر سليم قبل الاجتماع بقرابة النصف ساعة بعد تناوله لوجبة خفيفة، طلب مقابلة كشيم من أجل لمسات أخيرة لا بد منها، أدخلوا كشيم فجلسا معاً:

-اسمع يا كشيم، اقرأ هذه الأوراق، وحاول أن تنفذ ما كتب فيها بالحرف الواحد، عذراً كأنّني آمرك، ولكن أظنّ أنّ نجاحنا متوقف على التمسك بأدق تفاصيل الخطة.

- ميلس، سأنفذ ما كتب دون زيادة ولا نقصان.

- تصفح كشيم الورقات، حتى وقف على طلب سليم أن يأتي ببعض أهالي آكر للعب الأدوار كما طلب ديفيد، وخاصة الماهرين في الرمي.

- هل سنضحي ببعض أهالي آكر؟ لا أتحمل رؤية موت أحدهم أمام ناظري.

- لا تخف لن يموت أحد، أعدك.

- إذاً أنت واثق من نجاح خطتك، لكن ضع بالحسبان أنّ رقابهم في خطر.

- ما وجدت ضمانة منذ دخولي لعالم الكواليس، إلا اتباع الحدس، وهو ما أفعل، لكن يجب أن يأتوا إلى هنا سيساعدوننا كثيراً، نحتاجهم في المشهد الختامي.

تعجب كشيم:

- أيّ مشهد؟

- ستعلم كلّ شيء في وقته.

دخل الطاقم ومعهم إيند فجلسوا حول المائدة، وانتقل كشيم وسليم لمكانهما، انتظروا قدوم ديفيد وأكيرما، وبعد قرابة الربع ساعة دخلا، جلسا مستبشرين فرحين بما بلغهما سليم، فقال ديفيد:

- هذا اجتماعنا الأخير قبل التصوير، قد وزع عليكم ميلس نسخاً من قصته.

قال سليم:

- لم يتبقَّ غير موافقتكم، ونرجو أن يكون في المستوى المنتظر الذي يرضي زعيمنا ديفيد.

قام أحدهم:

- ينقص هذا العمل اللقطات المثيرة، فلمَ أخرتها إلى ختام الفيلم؟

لم يتوقع سليم هذا السؤال، ولكن بسرعة بديهته قال:

- إنّ ذلك مقصود، سنجر المشاهد ليكمل الفيلم وهو ينتظر تلك الإثارة، نستطيع بذلك ملأ عقله بكل رسائلنا، ولما نصل لما نريد، نعطيه بعدها ما يشتاق، ليستقر جيداً في قلبه.

صفق ديفيد، وتبعه مَن بالقاعة:

- أحسنت ميلس، إنك بارع، وبلا مناقشة لأنك تعلم جيداً ما تفعل، سنوافق على بداية تصوير فيلمك.

رفعت إيند يدها، فأشار لها ديفيد بالكلام، قامت:

- أرى أن الشخصية الرئيسية هي نجاح الفيلم، لذلك وجب الاهتمام بشكلها جيداً، وللأسف لا أرى ممثلاً سيظهر بالمظهر اللائق بين ممثلي الطاقم للعب هذا الدور.

- لا مشكلة، سنحاول البحث خارج الطاقم.

استوقفته إيند:

- لدي مقترح إن قبلتموه، فإني أرى في ميلس الشخص المناسب.

التفت الجميع نحوه، فضحك وقال لإيند:

- أنا كاتب، لا أجيد التمثيل كثيراً.

أكملت إيند وهي تنظر لديفيد:

- نريد أن نغير من الصورة النمطية لرجل الدين، فدائماً يلعب دوره الممثلون الشيوخ، وإذا أردنا التميز وشد انتباه الناس نجعله شاباً، وميلس هو الملتحي بين الممثلين الحاضرين، فذلك سيظهر واقعياً أحسن من أن نلصق بعض الشعر على خديّ أحدهم.

نظر ديفيد نحو سليم:

- نسيت أن أسألك لماذا لا تحلق لحيتك؟

- ألفتها لذلك أخاف أن أتغير إن حلقتها.

- ستحلقها ولكن بعد أن تلعب دور رجل الدين، أرى اقتراح إيند معقولاً.

تمتم سليم:

- ولكن لم أجرب التمثيل من قبل.

- ستجربه وستفلح فيه، علاوة على ذلك سبق أن أخبرتني أنّ مثل أولئك متواجدون في سانكو، وأنت كنت تراقبهم وتحفظ سلوكاتهم.

انحنى لديفيد:

- سأحاول جاهداً سيدي لإتقان الدور.

قالت إيند:

- أما بقية الممثلين فللمخرج صلاحية اختيارهم.

جلست إيند في مقعدها، فقال ديفيد:

- عندي مفاجأة لكم، ستعملون تحت إمرة رجل عظيم، لطالما ألصق وجهه بعدسة الكاميرات، وأفنى عمره خلفها، إنه المخرج الكبير كشيم، سيكون عملاً رائعاً.

ضحك أكيرما ونظر نحو سليم، وحياه بيده.

تمعّر وجه كشيم ولم يتفوّه بكلمة، فزاد ديفيد من حدة صوت ضحكاته:

- إذاً ستختار الممثلين بعناية، وأيضاً ستخرج لانتقاء أدوار الموت من آكر.

- ماذا! مستحيل أن أفعل.

- لا ستفعل، ستدخل آكر من جديد، ولكن ليس بصفتك سيدهم الذي يحميهم، بل كعزرائيل ينتقي من جاء دوره.

صمت كشيم، وأحنى رأسه ليضعه على الطاولة.

فقال ديفيد ناظراً نحو سليم:

- ستكون معه لتساعده في ذلك، أما البقية فتجهزوا لتبدؤو التصوير.

خرج سليم مع ديفيد وأكيرما ومعهم كشيم، فقال ديفيد لأكيرما:

- حضر نفسك، ستخرج معهم الآن إلى آكر، وأحضروا أولئك البؤساء الذين قدرت عليهم الموت.

جهز أكيرما السيارات رباعية الدفع، لأنّ طريق آكر غير معبدٍ، فلم يهتموا كثيراً بمثل هذه الأمور، ركب سليم وأكيرما وكشيم في سيارة واحدة، وأمامهم خمس سيارات ومثلها خلفهم، أحسّ كشيم بعودته إلى دياره وأخذه الحنين لقبيلته قبل أن يصلوا، أما سليم فيشتاق أيضاً لإليل وللأهالي جميعاً، لكنّه ظلّ يتحدث مع أكيرما طول الطريق؛ لكي يخفي فرحته باقترابه من آكر.

وصلت السيارات لقبيلة آكر وقد تطاير الغبار الذي تحمله معها، سمعت إليل الضجيج فقامت من نومها وأطلت من النافذة لترى أكيرما، أسرعت لتغيير ملابسها ونزلت لتقف أمامه، تبعها الأهالي فخرجوا جميعاً، فتحت ذراعيها كطائر يحمي فراخه من الجوارح، وقالت بأعلى صوتها:

- لم أنت هنا؟ لن أسمح لك بأخذ أي منا، ارجع من حيث أتيت.

سمعها كشيم وسليم، نفذت كلماتها إلى قلوبهم، حدث سليم نفسه: ما أقواك يا إليل، كم أنا متلهف لرؤيتك.

أما كشيم فابتهج: إنها أقوى من أن يخيفها شخص ضعيف مثله.

دنا أكيرما منها بضع خطوات، اقترب منها يمار والبقية، قال لها يمار:

- اهدئي يا إليل - وجّه خطابه لأكيرما - ماذا تريد الآن، ألم يكفِك ما صنعت وسيدك.

غضب أكيرما وهو يتأمل وجه إليل:

- ألم تخبرني أنها غادرت آكر ولا تدري أين؟ لقد أوقفت المسلسل وعملاؤنا ينتظرون التتمة، لا بد أن تكمل، لا أحد فوق القانون.

نهره يمار:

- أيّ قانون تقصد! أن ترغموا الناس على الموت، لقد دنستم العرف الشريف وحولتموه لقانون إجرام، قانونكم مردود، كتاب الأثير للتمثيل وليس للقتل.

- كفاك كلاماً، سأرجعها معي، ومع من اختير للتمثيل في الفيلم الجديد، عندي مفاجأة لكم، فلسنا من سيختار، إنّه رجل تعرفونه جيداً أتانا عن طيب خاطر ليكون واحداً منا، أشار للسائق بأن يفتح باب السيارة.

خرج سليم، وما إن رأوه حتى وجلت قلوبهم، صمتوا جميعاً، رمقته إليل والخوف قد تملكها: لقد عرفوا أننا بعثناه، فجأة أشاحوا بصرهم عن سليم ليروا النازل الآخر من السيارة، ركزوا نظرهم، فصاح أحدهم: إنّه كشيم.

استبشرت الوجوه، وذرف البعض من عينيه دمعاً اختزن بداخله لزمن، وحتى إليل ويمار وأعضاء مجلس السبعة لم يحبسوا دموعهم، ركضت إليل متجهة نحوه، فصدها رجال أكيرما الذين أحاطوا به وبسليم، بدأت بالتدافع معهم، لكن يمار أخذ بيدها ليعيدها إلى الخلف، أمر أكيرما بأن يتقدموا بهما إلى أن يصعدا المنصة، قعدا في مكانهما وجلس بقربهما أكيرما، وبقي الرجال واقفين ليمنعوا أهالي آكر من الاقتراب، قام كشيم فرحاً ليقول:

- أنا فخور جدّاً بكم، وسأظل فخوراً إلى أن أموت، لا خوف عليكم فلا أحد هنا يهاب الموت، وأنا أعي هذا جيداً، فمن منكم يخاف على مصيره في "ونب نويهص" اللعينة.

صاح الجميع:

- لا أحد.

أكمل وهو يضحك:

- كما عهدتكم، لم تتغيروا، تضحكون جميعاً، وتبكون جميعاً، وتصيحون جميعاً، إن في وحدتكم قوة لن يقدر أحد على زعزتها أو إضعافها، لذلك أريدكم أن تعوا جيداً ما أقول.

الكل ينصت باهتمامٍ كبيرٍ، ولا زالت دموع إليل تنهمر وهي تنظر لسليم وكشيم وهما محاطان برجال "ونب نويهص"، لكنّها تتمالك نفسها والبقية لكيلا يظهروا ضعفهم، وسليم ينظر أيضاً نحوها ويحذوه الأمل أن يكلمها، لكنه يدور بعينيه كالمتعجب لكيلا يلحظه أكيرما، أكمل كشيم:

- سيمثل بعض منكم في فيلم كتبه هذا الشاب الذي معي، لا أدري ما الذي دفع به إلى "ونب نويهص"، ولو كان معنا لقدمنا أعمالاً ممتازة، قلمه يخط ما لم نستطع خطه، ويجود فكره بدررٍ ما دراها الكثيرون منا، لكنّه يسبح عكس التيار، راضياً بما أمره به ذاك الملعون، للأسف خطفه ديفيد منا.

قام سليم ناظراً لإليل التي لم تشح بصرها عنه، والتفت نحو كشيم وأكيرما، ونظر ليمار وأعضاء مجلس السبعة وهم في بداية الصفوف، وإلى جميع الأهالي، ثمّ قال:

- إنّها آكر التي لطالما سمعت عنها، قبيلة بدائية تحاول الوقوف أمام زعيمنا ديفيد، وكم كرهت قبيلتي سانكو لأنّها لم تفرض الحصار عليكم.

سمعت إليل سانكو: أخبرهم أنّه من سانكو، لا محالة واجهته المشاكل لانتمائه لها، لكنّه خطئي لم أخبره عن أسماء باقي القبائل.

أردف سليم:

- نحن في "ونب نويهص" لا ندعو لتعطيل عقل الإنسان، بل نحتاجه ليفكر معنا فيما نصبو لتحقيقه، كالطائر يهرب لأعلى الشجرة فنحتاج لقنصه، ولا يتأتى ذلك إلا بالتخطيط الجاد، محاولين جذبه إلينا بكل الأساليب، وإذا لم يستجب سنضطر لقنصه، وكذلك الإنسان سننصب له الفخ للإيقاع به، أنا من كتبت قصة الفيلم، وكما أخبركم كشيم نحتاج بعد الأدوار لننجح، وحكم ديفيد سيسري عليكم لتمثلوا دور الموت الحقيقي.

فهموا رسالة سليم فاستبشروا بعد أن كتم كلّ واحد منهم بداخله شكه كون سليم قد مال مع ديفيد، أغاظ ذلك أكيرما فنادى على سليم:

- ما بهم لم تكفهر وجوههم لسماعهم الخبر!

طمأنه سليم:

- إنهم يخفون خوفهم، ستسمع صراخهم عما قريب، لا تقلق ولكن أبدِ عظمتك ولا تنسَق مع ما يبدون.

عدل أكيرما لباسه متباهياً، وأبدى أسنانه، التفت سليم نحوهم ابتسامة خاطفة، ثمّ عاد لإبداء القوة:

- نحتاج خمسين شخصاً، كلهم سيموتون في المشهد الختامي.

تقمّصت إليل دور الغاضب، وقالت بعنفوان:

- خمسين، يا لحقارتك! إنّ سانكو لا تتشرف بشخصٍ مثلك.

ثمّ نهض كشيم جاحظ العينين:

- لا إنه عدد كثير، ظننتك تحتاج فرداً أو فردين، أما خمسين فكثير يا ميلس.

قاطعهم أكيرما مخاطباً سليم:

- لو احتجت أكثر من هذا العدد فأشر فقط، ونحن ننفذ أوامرك، إنهم تحت سيطرتي، وإن رفضوا سنبيدهم جميعاً.

أحدث الجمع جلبة، فحمل أكيرما مسدسه مطلقاً بعض الطلقات في الهواء، صمتوا، فأمر كشيم أن يبدأ عمله.

قام فاقترب من إليل وكله شوق لأن يحتضنها، اغرورقت عيونهما، احتضنها وأشار لأكيرما أنه اختارها، اقتادها الرجال للسيارة، فتقدم نحو يمار وعانقه أيضاً، فاقتادوه للسيارة، تجاوز أعضاء مجلس السبعة فلم يشأ ذهابهم معه كي يراقبوا القبيلة ويخدموا ساكنيها، اختار ثمانية وأربعين آخرين كلهم يجيدون الرمي كما وجهه سليم، اكتمل العدد فانطلقت السيارات عائدة لـ"ونب نويهص".

وصلوا فستقبلوهم بالصفير والسب، اصطف الرجال والنساء متقابلين على مسار مشي قتلى آكر، لم يستسغ سليم رؤية هذا المنظر المريب، إنهم يعتقدون أنّ هؤلاء هم أدنى منهم، أعداؤهم الذين أرادوا إنهاء حياتهم الماتعة، تلك امرأة شبه كاسية تطلق صيحات الاستهجان، وذلك الرجل المخمور يضع إصبعيه في فمه ليصفر، وحتى ذاك الصبي يقفز متأثراً بما رآه ممن يكبره سناً.

سارت إليل ويمار والبقية، رافعين رؤوسهم يحدقون بهؤلاء المساكين، لم يكنوا لهم الكره أبداً، فنية آكر صادقة ولم يكن أذى أهالي "ونب نويهص" يضرهم، ولا يدفع قلوبهم النقية أن تبادلهم نفس الشعور.

ظلت ابتسامتهم على وجوههم طول مسارهم الذي كان آخره داخل القصر، وسليم يمشي بمحاذاتهم، رجال أكيرما الذين يعتمد عليه في الجنبات يراقبونهم، أوصلوهم لغرفة فسيحة مقابلة لغرفة كشيم.

توقف سليم وهو يلاحظ دخول إليل ويمار ومن تبعهم، وأحاسيس الفرحة اختلطت بالأسى الشديد عليهم وعلى حال الناس بعالم الكواليس في عهد ديفيد.

دخل أكيرما على ديفيد ليخبره بأنّ أهالي آكر قد حلوا بـ"ونب نويهص"، فوجده جالساً أمام تمثاله، ويقوم بطقوسه المعتادة كل يوم، قام لما سمع خبر أكيرما وعينه محمرة تشتعل بنار الحقد والكراهية، قال:

- كم أحضرتم؟

- خمسين.

- خمسين! نها هزيمتهم النكراء، هزيمة آكر التي لطالما حلمت بها، لقد أتى هذا الشاب كأنه مبعوث، أتى ليتقدم بي إلى هدفي، إنه مبعوث أتى من أجلي، لقد فاق هذا تصوري، أريده الآن عندي، اذهب وأحضره لي.

- أمرك سيدي.

خرج أكيرما مسرعاً، حتى وصل للقاعة التي دخلها سليم، فناداه أن ديفيد يريد مقابلته، دخلا على ديفيد، وحين رأى سليم صفق من أعماق قلبه وهو يطوف حوله:

- لماذا تأخرت عن القدوم لـ"ونب نويهص"؟ كنت في أمس الحاجة لمثلك منذ زمنٍ بعيدٍ.

- لم تسنح الفرصة سابقاً، فقد كنت محاصراً في سانكو حتى تمكنت من التسلل، لأنه لم يرحل أحد عن سانكو من قبل، انتظرت اللحظة المناسبة للفرار.

- سأنتقم منهم عما قريب، ولكن حتى نفرغ من مشروعنا الحالي، أنت داهية، ستجعلني أستمتع بقتل خمسين فرداً من آكر أمام عيني كشيم، لم يفكر الكُتّاب بهذا سابقاً، كنا ننتظر من يقدم علينا محاولاً خداعنا، فأقدر عليه الموت، ومنذ زمنٍ بعيدٍ لم يأتوا، لكنك الآن أتيت بهم، رائع يا ميلس رائع.

كظم سليم غيظه، وأبدى إعجابه باندهاش ديفيد ليقول:

- هذا ليس كل شيء زعيمنا ديفيد، ما زال في جعبتي مفاجأة لك، إن قبلتها.

أجاب بلهفة:

- أتحفني بما في جعبتك، فما أرى فيها إلا الدرر.

- ألا تريد بأن تستمتع برؤية هؤلاء الحمقى وهم يصيحون من شدة الألم، وترى كشيم يذرف دمعه أمام الكاميرا وهو يصور هذه المشاهد الحقيقية؟

- إنها منتهى سعادتي.

دنا منه وهو يفرك شعره:

- إذاً أدعوك لكي تراقب عملنا على الفيلم.

- نعم موافق يا لها من متعة!

أشار أكيرما إلى أن فتاة المسلسل قد عثر عليها في آكر، غضب ديفيد لأنّ مسلسل ليلى لم يكتمل بسببها، ولم يكن بإمكانه استبدالها وإلا سيظهر جلياً أنّ في العمل خلل، أمر أكيرما بأن يطلب من فريق عمل المسلسل أن يحضروا أنفسهم لينهوا الحلقة الأخيرة، وأن يحضر كشيم أيضاً ليشهد موت إليل.

"لا يمكن أن أسمح لهم بقتل إليل، أنا من جلبها إلى هنا، وأنا سأحميها".

تدخل سليم ليوقف حوارهما:

- لا يمكن أن نقتل إليل، نحتاجها في المشهد الختامي، لم نحضر امرأة غيرها، وفي الفيلم نحتاجها.

قال ديفيد:

- لا يسعنا الوقت، مطالبون بالحلقة الأخيرة في أقرب الآجال.

- اتركوا لي تدبر هذا الأمر، سأغير السيناريو دون أن تموت.

فكر أكيرما سريعاً في أن يحبط مساعي إنقاذ فتاة آكر المخادعة، ذكر ديفيد بأن لقطات المسلسل الأولى قبل عرضه تظهر تعرضها للقتل في آخره.

لقد صعب أكيرما على سليم خطة إنقاذ إليل، خطر في باله مخرج قد يكون مناسباً:

- إذاً نوظف كشيم ومعاونيه، ليصوروا لقطة قتلها، أليسوا خبراء، سيظرونها كأنها مقتولة فعلاً، ونحافظ عليها لكي ينجح فيلمنا بقتلها هي والبقية حقيقة.

رضيا بما قاله، كلفه ديفيد بالإشراف على الأمر.

أمر سليم حارس غرفة كشيم أن يفتح الباب بعد أن وقف أمام الغرفة السوداء، ملتفتاً قبل دخوله للغرفة المقابلة، وجد كشيم جالساً، جلس إلى جانبه وقد طلب من الحارس إغلاق الباب.

- كشيم نحتاج تصوير آخر حلقات المسلسل الذي بدأت بتمثيله إليل، أرادوا قتلها لكني جعلتهم يقبلون رأيي بأن نمثل دور القتل فقط.

- إليل! أتقصد أنها كانت هنا من قبل، لم تخبرني بهذا سابقاً.

- عجباً، حسبت أنك تعلم.

- وكيف يمكنني أن أعرف من داخل هذه الزنزانة، لا يخرجونني منها إلا أثناء قتلهم لواحد منا، أو لإشرافي على إنتاج عمل سخيف من أعمالهم.

- المهم، كانت هنا لإنقاذك.

حكى له مغامرة إليل وكيف نجت من الموت، ولو أن كشيم كان حزيناً، إلا أنّ سعادة طفيفة قد غمرته، وحركت شفاهه بابتسامة عريضة.

اتفقا على إنجاز الحلقة الأخيرة ليضمنوا بقاء إليل على قيد الحياة، تركه سليم، دخل الغرفة المقابلة، هناك حيث يتواجد أهالي آكر، وهناك توجد إليل، من تعلق بشخصيتها في المسلسل، عاد اختلاط الأحاسيس عليه، لكنّه سيستغل الفرصة ليعيش لحظته فقط، دون مزاحمة المستقبل.

كانوا يفترشون الأرض، تركوا تلك الكراسي الفاخرة، والموائد الطويلة، وما عليها من أكل، إنهم أناس بسطاء غير متكلفين، تواضعهم قد رفعهم مقامات علية في نفس سليم، لقد كان بإمكانهم العيش عيشة رغدة، يبنون مثل ما بنى ديفيد، يأكلون أجود الأطعمة، ويلبسون أفخر الثياب، ويركبون أغلى السيارات، لكنهم آثروا كل شيء من أجل الإنسانية.

دموع سليم تندفع، حبسها وهو في مثل هذه المواقف يتأثر بشدة، سارع لطلب إغلاق الباب وخروج حارس غرفتهم، وما إن سمع صوت إقفال الباب حتى اندفعت دموعه متقاطرة، كتم صوت بكائه، أشار لهم بخفض أصواتهم، جلس مثلهم على الأرض.

- اشتقت لكم كثيراً، لم تغيبوا عن خاطري للحظة، لقد تقاسمتم ذاكرتي مع أسرتي، حفرتم بداخلي صورة قلب منير لمن بآكر جميعاً صغيرهم وكبيرهم، أحسست بالغربة هنا فشتان بين آكر و"ونب نويهص"، أنتم لا تعلمون عنها الكثير، وسأخبركم بكل شيء لاحقاً.

كلهم ينظرون لسليم، يستمعون لما يحدثهم به، يرون فيه ذلك الشاب المخلص القوي الإرادة، الذي استطاع اختراق حصون "ونب نويهص"، وإيجاد مكان له بينهم.

أما إليل فنظراتها ليست كنظراتهم، إنه ارتباط وثيق بسليم، ما زال الخجل يلون خديها فيزيدها جمالاً فوق جمالها، تصعد بعينيها من أقدامه إلى وجهه، إنّه الحبّ قد فلق قلبها لنصفين حتى توسطه اسم سليم وانغلق، إنها الحيرة والهيام قد تملكاها دون أن تضع حسباناً من قبل لهما، تريد أخذ المبادرة لتسأله عن أحواله لكنها تستحي من يمار الذي يتكلم معه "ما العمل أريد أن أكلمه، أشتاق لسماعه، أرتمي بروحي في عالمه الذي آواني فيه".

حتى هي ركزت بكل حسها مع اللحظة متناسية بعض الشيء ما ينتظرهم في قادم الأيام.

- إليل، إليل، إليل.

إنها تسمع نداء بعيداً كأنه منبعث من قعر بئر، وصوت طائر النورس يحوم فوقها، زهور تتفتح، زخات مطر خفيف تبرد الجو، وسليم يتقدم نحوها بنور ينبعث منه، لباسه أبيض ينحني أمامها هامساً في أذنها، أحبك.

تنبهت فإذا بسليم يجلس بمحاذاتها، يحدق بها.

- ما بالك! لقد ناديتك أكثر من خمس مرات ولم تجيبيني، فاقتربت منك، لعلّ أذنك قد ضعف التقاطها!

لا تزال ثملة من هيامها، أمسكت يده غير عابئة بيمار ولا غيره.

- كيف حالك؟ لقد خفت عليك كثيراً، وكم تمنيت أن ألحق بك، وما منعني إلا الخوف من إفساد كل شيء.

انتقلت حمرة خديها لخديه بملامسة يديها يديه، وبقولها الرقيق الفتان، لم يدرِ كيف يرد، التفت فوجد الكل ينظر نحوهم، استحي من مصارحتها بحبه لها مع أول لقاء بها مجدداً، لأنّ ذلك وعد شرف قد عقده مع قلبه، الظروف المحيطة به لا تسمح، يحتاج وقتاً قد يطول كي تُقطع تلك الكلمة بالشفرة أجزاء من قلبه قبل أن تخرج، قرر تأجيل الأمر.

- أنا بخير، شكراً على اهتمامك، وقد اشتقت لك كما اشتقت.

سمعا من بعضهما البعض ما أبرد قليلاً لهيب حبهما، وحديث عينيهما أبى الصمت طول جلسته معهم.

أخبرهم بما سيفعلون، وبين لإليل أنها ستموت تمثيلاً.

- إليل كنت أعتقد أنك أتيت بي إلى هنا من أجل إنقاذك، لكن غايتك أسمى عندك من حياتك، ها أنا حققت ما اعتقدت، وسنسعى جميعاً لتخليص عالم الكواليس أيضاً.

تدخل يمار:

- آمناً بقدرتك منذ البداية، والظاهر أننا كنا محقين، فما كان سواك يقدر على الوصول لما أنت عليه الآن، وحتى إن فشلنا إن شاءت الأقدار سنكتب سيرتك بمداد دمائنا حكاية تتوارثها الأجيال بعدنا.

تبسم سليم:

- لن نفشل، سنسقط "ونب نويهص" عما قريب، أعدكم.

استبشروا، فأكمل:

- سأغادر الآن لكيلا أثير الشبهات، وسألقاكم في الساحة وقت التصوير، اعتنوا بأنفسكم.

تبادل نظرات طويلة مع إليل، ومع يمار، ومع البقية، وغادر..

في مصنع الخمر، رأى سليم كل مراحل صناعة ما يسقي ديفيد الناس، من عنب يعصر جيداً بكل مكوناته، إلى تركه يختمر وإضافة الكحول له، لم يحتمل تلك الرائحة التي صارت قوية كلما تقدموا إلى مرحلته الأخيرة قبل أن يوضع في براميل البلوط، طلب من ريمس كمامة تقي أنفه من الرائحة الكريهة، أما كل العمال لا يضعون شيئاً، بل يشربون منه قليلاً دون وصولهم لحالة السكر المتقدمة، عليهم أن يظلوا متيقظين ليضمنوا مواصلة الإنتاج، لأنّ مصنع الخمر من أهم المشاريع التي يهتم كثيراً بها ديفيد.

وصلا لمكان تخزين براميل الخمر التي توزع على الحانات والمحلات بعد مرور سنة، قال ريمس وهو يتفقد تلك البراميل التي وضعت فوق بعض إلى أن صارت كجدار متراص، يملأ المكان الكثير منها:

- هذه البراميل ستوزع بعد مرور سنة لكن ليس قبل أن يضيفوا لها مسحوقاً أبيض اللون غير معروف في تركيبة الخمور، وله تأثير خطير على الدماغ، يدمر خلاياه شيئاً فشيئاً، تتعطل مع مرور الوقت عقول مدمنيه، ففي الشراب الذي يشرب الداخل لـ"ونب نويهص" مكونان مخلوطان بعناية، وكلاهما يهلكان شاربه، لذلك تراهم كالضباع يصفقون ويهللون وهم لا يدرون أن ديفيد يهلكهم.

- الآن عرفت لم يوزع بالمجان، كي يدمنوا عليه ولا يفارقوه، لم يكن ليتمكن منهم لولاه.

- لا شيء مجاني هنا، لا بد من دفع الثمن، لذلك لا يشربه ديفيد وأكيرما وباقي من يشكل هيكل "ونب نويهص"، وفي هذا المصنع مكان لا أعرف حتى أنا موقعه، فيه الخمر الجيد الذي يشربه ديفيد، وقد أعطيتك على ما أذكر قارورة منه، أشربتها؟

- آه، لقد نسيتها في مكانها.

- سأهديك ما تشاء منها، أو كل حصتي لأنّني قررت الإقلاع عن الشرب.

استبشر سليم:

- حسناً فعلت، سلمها لي وسأكسرها كلها، سأقلع عنه أيضاً، فعصير الليمون أفضل.

ولجا لمكان توضع فيه القارورات الجاهزة للاستهلاك، وما تنتظر إلا موافقة لجنة التذوق، رحبت اللجنة بهما، جلسا بقربهم ليروا كيف تسير آخر عملية قبل شرب الناس لخمر المصنع، أخذ كل واحد من هذه اللجنة قارورة لكلّ نوع وكان عدد القارورات عشرة، سكبوا القليل منها في كأس، شموها بأنوفهم قبل أن يضعوا طرف لسانهم على الخمر، بدا عليهم انطباع حسن على النوع الأول، وضعوا القليل منها في فمهم، مضمضوها قرابة العشرين ثانية، ثمّ تفلوها في إناء وضع أمام كل واحد منهم إلا رجل يظهر كأنه مجنون يشربها ولا يرد منها شيئاً، لاحظ سليم هذا المختلف الذي

يحس بنشوة غير طبيعية عند شربه للخمر، لا يكتفي بجرعة واحدة بل يحتسي القارورة كلها، كلما شرب كأساً رفعت أم عينه اليمنى للأعلى واليسرى ثابتة تحدق في البقية، وافقوا على هذا النوع ليستهلكه الناس، حز في نفس سليم سؤال أراد استفسارهم عليه، لكن لا يستطيع هم غرباء لا يثق فيهم.

سألهم ريمس:

- ألا تجدون أنكم ترخصون لخمر تطمس عقل الناس .

إنّه السؤال الذي أراد سليم طرحه، ارتبكوا قبل أن يأخذ المجنون المبادرة، إنني أجد سؤالك بليداً، كل الخمور تذهب عقل الإنسان، وتقطع مع مرور الوقت أحشاءه وأنا أجد أن هذه الخمر لذيذة.

سكب كأساً، شربها دفعة واحدة كأنها ماء، ضحك بهستيرية، رفع القارورة حتى ألصقها بعينيه، إنّها الآن دمي ودمعي، قلبي وكبدي ورئتي التي أتنفس بها، قال لي طبيب جاهل عديم الحس: إنّ حياتك في خطر، وما عليك إلا أن تتوقف عن الشرب، له الويل كل الويل، إن أعضاء جسدي تضيق عليّ في صحوتي، ولا يزول هذا الضيق إلا بالشرب، ألا تتفقون معي أنّ الشراب لذيذ، هل وصلتكم لذة ما وصفت لكم، عليها اللعنة.

شرب ما بقي من فم القارورة، تجشأ، ارتسمت صورة المجنون، عين للأعلى وعين ثابتة، وضحك هستيري.

دلك سليم عينيه جيداً غير مستوعبٍ حال هذا الرجل التي تدمي أشد القلوب قساوة، نظر لريمس فوجده غير آبه، نظارة عينيه توحي له بذلك، كانت عينا ريمس خلف النظارة محمرة، متأثرة أيضاً، مدافعة لدموع مختلطة بين البياض والحمرة، بياض الشفقة وحمرة الغضب.

أكملوا باقي الزجاجات، والمجنون قد احتسى عشراً منها، وصل للفناء لم يعد حاضراً ولا عضو لجنة، بل حالماً في يقظة، جفّ لعاب لسانه حتى صار بياضه أكثر من لونه الوردي الجميل، يهذي بكلام غير مفهوم، تحامل على نفسه ليأتي بزجاجة أخرى، لكن يد سليم قد امتدت ليده محاولاً ثنيه على عدم الشرب أكثر، الكل يراقبهما، قال له سليم: يكفيك شرباً اليوم لقد أكثرت، تفاجأ سليم بدفعه له: من أنت وماذا تريد مني؟ دعني فقدري محسوم، سأشرب وأشرب حتى أحلق عالياً، لم تعد الأرض عالمي، أريد أن أحلق للسماء فالطيور حرة أكثر من البشر.

أصبح كلّ كلامه هضرمة، لا يستقيم لسانه إلا بعد جهدٍ جهيدٍ، تقدم إلى الرفوف، حمل زجاجتين وفي رجوعه افترش الأرض راقداً على ظهره، إنك هنا يا عصفافير، ها قد فردت جناحي لأحلق معكم، اسمعي لقد تعلمت التغريد، بدأ ينفخ بفمه، شكراً على تصفيقاتكم الحارة هذه سيمفونيتي التي سأعلمكم إياها، هيا لنتساقط فوق تلك الشجرة العظيمة.

نهض ريمس من مكانه، دعا سليم ليحملاه، حملاه وما يزال محلقاً، سارا به إلى أن أدخلوه إلى غرفته، هو ساكن في المعمل لا يخرج منه أبداً، في الغرفة

تتناثر زجاجات الخمر الفارغة، ارتفعت قرابة الثلاثين سنتمتراً، وهكذا كل أرضيتها، لا سرير فيها، يفترش الزجاجات، رأى سليم صورته مع ديفيد وهما شابان، سرحوا تلك الجثة في موضع، اقترب سليم من الصورة وقال لريمس:

-إنه مع أبيك.

أزال ريمس سترته ونظارته وربطة عنقه، رفع كميّ قميصه، أخذ في تفريغ ركنٍ من تلك الزجاجات ليجعل له سريراً ينام عليه، لاحظ سليم عينا ريمس تملكهما الحزن الشديد.

- إن هذا الذي تعتقده مجنوناً كان من حكماء "ونب نويهص"، ولا يزال إلا أنّ سكره الدائم قد أذهب هذه الحكمة، لا يصبر على صحوته ولو ساعة من الزمن، لقد دخلت إلى هنا يوماً بالمصادفة، كان حينها غير سكران، رأيته يجلس ويقوم، يتمشى إلى الحائط ويدور إلى الحائط المقابل، يطوف حول أركان غرفته وفمه لا يهدأ بهضرمة كلام قد سمعت بعضه قبل قليل، لم أعِ جيداً ما يقول، لكنّني التقطت بعضاً منه، عليك أن تجد الكنز، عليك حفظ كلّ ما في تلك الكتب، عليك قتل بعض الغلمان الزهريين، لا بد من إيجاد التاج، حاضر سأفعل لكن لن أزهق روح أي غلام، ستفعل لأنك صديقي وأنا في أمس الحاجة لك، لا لن أفعل، ستفعل، لا لن أفعل، ستفعل، لا لن أفعل، ستفعل.

يمسك بعدها رأسه وينادي سأفعل سأفعل سأفعل، لا يتمالك نفسه حتى يمسك الزجاجة والكأس.

حوار يكون فيه هو بشخصيتين مختلفتين، كأنك تشاهد المسرح الفردي.

- أتظن أن ديفيد هو سبب ما يجري له؟

- نعم ومن غيره، لقد كان صديقه المقرب قبل مجيء أكيرما، هو بلا شك من ساعده ليحصل على تلك القوة التي يتمتع بها، وإذا جمعت كلامه الذي يتفوّه به ستعلم أن ديفيد أرغمه على فعل ما لم يشأ، حفظ كتب سحر فيها طلاسم تسخر الجنّ لصالح الإنسان، الجنّ تطلب من الإنسان عوضاً مقابل رفعها للحجاب الذي بينها وبين الكنوز المدفونة، ولا يبهجها أكثر من سلب الإنسان، سواء دعته للتخلي عن كل ما يميزه كإنسان، أو إيذائه لغيره، ولكي تكشف عن الكنوز العظيمة تطلب إهراق الدماء، تطلب قتل غلمان زهريين ورميهم في الحفرة التي يتواجد فيها الكنز المطلوب إخراجه، أرأيت حقارة هذا الفعل، يقتلون الغلمان مقابل المال والقوة!

- آه قد سمعت بهذا من قبل لكنّني لم أكن أصدقه، أيعقل أن يكون المال والجاه أهون عليهم من سفك الدماء!

- هنا لا حديث عن الإنسانية، للأسف الشديد آخر ما يفكرون فيه هو مصلحة الإنسان، بل الأخطر من ذلك حتى الإنسان نفسه لا يعلم مصلحته، ولا يسعى لتحقيقها، ولا حتى أتعب عقله بالتفكير فيها.

.....

- ديفيد إن ما تسعى إليه خطير، وأول الخطر عليك، ستذهب إلى اللاعودة، ستسمع ضميرك وتراه أمام ناظريك في كل حين، ستغالبه ويغالبك والأكيد أنك ستخرسه لفترة، لكن أبداً لن يفنى حتى تخرج روحك من جسدك، سترى العجائب ديفيد بداخلك، سترى العجائب وسينتهي كل شيء كأنّه لم يكن، مهما طغى الظلم فإنه زائل، ومهما خفت صوت الحق فإنه منتصر.

- أنا أسعى لأجد ذاتي، ولا أريد غير ذلك، أريد أن يعرفني الكل، أستستمتع بهتافاتهم وحملقتهم نحوي، أحب الرئاسة، أن يصبح الناس خدماً لي، ولا أهدف لإيذاء أحد.

- أنت تتوهم ليس إلا، لا سبيل للوصول للأهداف الشخصية إلا على حساب التضييق على مصالح الآخرين، ولو استلزم الأمر سلب كل ما هو جميل فيهم، وإن كانت أرواحهم.

- سأكون حذراً..

- لن تستطيع، فلا تدع نفسك تفتح أبواب الشر شيئاً فشيئاً، عالم النفس لست خابراً قوته، الحرب فيه أشد ضراوة من حمل السيوف المهندة في ساحة الوغى.

- إنك تهول الأمر يا سرون..

- الهول هو ما ستحيا به، ستذلك نفسك إذلالاً، وستتمنى لو عدت ديفيد القديم ولو عشت ومت وحيداً، إني أحذرك لا تفتح ذاك الباب إن شره عظيم يا ديفيد، سيتركك كل ما استندت عليه عندما يتيقنون سقوطك، ستسقط وحدك ولن يساعدك أحد، سيكرهك الجميع لما تتبدى سوءتك، لتعلم في النهاية أنك حقير تلتصق به لعنة يتمنى الموت فلا يجده.

- إنك تهول الأمر يا سرون، أنا أقوى مما تظن، وسوف ترى بأم عينيك..

- بمَ يهذي هذا المجنون؟ دعني أقتلع رأسه يا كشيم فما كنا لنحزن لولاه، وما كنا لنتأخر كل هذه السنين لولا سطوته على عالم الكواليس، إنّه لا يستحق الحياة..

- اهدأ يا ريمس، لا تدع الغضب يفقدك صوابك، ومهما يكن فهو أبوك، سينال جزاءه بمحاكمة عادلة، أحضروا دلو ماء لنخرجه من كابوسه ذاك..

ما زال ديفيد يهيم مع ماضيه الأليم، يهذي بكلّ ما مر به:

- لمَ تركتموني الآن؟ ألم أكن خادمكم المطيع، ألم أبعكم نفسي، تباً لكم، أظنّها النهاية ولا ملجأ أحتمي فيه من حياة بائسة سأحياها مستقبلاً، فمثلي سيتجرع مرارة ما قدم في كلّ حين.

تيقظ بعد رش كشيم الماء على وجهه، فتح عينيه ببطء، وما إن نفذ ضوء الشمس منها حتى أغلقها بشدة.

- لقد هزمت إذا، انتهى كل شيء، ظننت أنّني قوي بما فيه الكفاية للانتصار وحدي على إرادة الجميع، لكنّني كنت أحمق، الإرادة هي الأقوى وهي ما كنت أفتقد، إنّي نادم على كلّ ما اقترفت، وهل يمحو الندم آثار الخطيئة!

جلس كشيم بقربه:

- كنت أعرف، ما أنت إلا كطفل يلهو وما يستوعب حجم الضرر الذي يسببه لمن حوله.

رفع ديفيد نصف جفونه، نظر يميناً وشمالاً، الساحة فارغة إلا من أهالي آكر، ومعهم إيند وبعض فتيات قبيلتها اللائي قررن مساعدة سليم، وكذلك هوكو والرجال الذين أعانوه، وابنه ريمس، قال ديفيد بأسى:

- حتى أنت ابني ريمس، يا للأسف.

- ولمَ الأسف!

ثمّ أمسك شعر ديفيد بشدة.

- اقتلني بني وأرح نفسك وأرحني، لا تتردد هيّا أرجوك.

هدأ وأجهش بالبكاء لما قال ريمس وقد أرخى يديه عن رأسه:

- لن أفعل، فلا يمكنك أن تفسد ما تركت أمي فيّ، تربيتها الطيبة لن ألوثها في شخصٍ مثلك، وهؤلاء القوم هم عائلتي فالتربية بصحبة الأخيار أيضاً تُنال.

طلب كشيم من هوكو ورجاله أن يحملوا ديفيد داخل غرفة الاجتماعات ويشددوا عليه الحراسة هو وأكيرما، وأن يطعموهما ويسقوهما ويعاملوهما المعاملة الحسنة، ونادى على ريمس أن يقوده لغرفة ديفيد.

اقتربا من الغرفة فإذا بالدخان يخرج من شقوق الباب، أسرعا الخطى فبدأ ريمس يدفع الباب لكن دون جدوى فقد أحكم إغلاقه من الداخل.

فجأة سمعا:

- لقد حذرتك لكنك لم تسمع كلامي، حسبت ذاك العالم سهل إدراكه والسيطرة عليه، إنّه عالم النفس الأمارة بالسوء، التواقة لكسر القيود إن نفث فيها الشياطين سمومهم، كان الأولى ألا تفتح الباب، كان عليك إحكام إغلاق ذاتك، لكنّك لم تفعل فتحت أبوابك ونوافذك فسهل اختراقك، تباً لك ديفيد تباً.

صاح ريمس:

- افتح يا سرون ستهلك، افتح بسرعة.

- من هو سرون؟

- إنه صديق ديفيد الوفي، لكنّه ابتعد عنه لمّا عرف نوايا ديفيد الخبيثة؛ مفضلاً توديع حياته الطبيعية إلى حياة لا يصح فيها من السكر.

- تباً لك ديفيد، لم تدع أحداً وشأنه.

حمل سرون المطرقة وبدأ يحطم صنم ديفيد وهو هائج يصرخ، بعدها أخذ كل تلك الكتب الصفراء ورماها وسط النار التي أشعل، تعالت منه ضحكات بعد الألم المرير الذي عاشه، وارتمى أيضاً داخل النار لتدوي صرخاته في الأرجاء.

تمكن ريمس من كسر الباب بعد جهدٍ جهيدٍ، لكنّ الأوان قد فات، أخرجا جثة سرون المحترقة وفرا خارجاً، بكى ريمس بحرقة وهو ينظر للجثة، ولم تتوقف دموعه بمواساة كشيم له.

انبرى بعض الرجال لإطفاء النار التي ستلتهم كل القصر إن بقيت.

أدخل ريمس وكشيم سرون إلى قاعة الاجتماعات وكل من بها قد أغمض عينيه، وضعه ريمس على الطاولة وتقدم بخطوات متباطئة نحو ديفيد، رفعه إليه، ثمّ اقترب به إلى الطاولة ولا يزال الدمع في عينيه.

- ها هو رفيق دربك يا ملعون هو الآخر اكتوى بخبثك، لقد ضيعت عن "ونب نويهص" حكيماً نادراً ما يجود الزمان بأمثاله وعوضته بأناس لا يعرفون شيئاً، ولا يتعلمون ولا إرادة لهم لفعل أي شيء، هذا ما أردت وقد وصلت لمبتغاك.

- دعني بني لا أطيق رؤيته في هذه الحالة، اقتلوني لأرتاح إنّ النار التي أهلكته بداخلي لا تنوي أن تخمد، أرجوكم أحرقوني أو مزقوا جسدي لأشلاء أو احملوني لأعلى الجبل وارموني، لا حياة لي بعد اليوم.

خطا نحوه كشيم وربت على كتفه بشدة:

- لن تموت الآن حتى تتجرع الألم الذي أذقته للناس.

حضر ديفيد لحظة وضع سرون في قبره، شاخصاً ببصره نحوه، متمنياً لو كان مكانه.

- هل تجهزوا للتصوير؟

- نعم سيدي الكل ينتظرك، إنه آخر مشهد ووتيرة هذا العمل أسرع من باقي الأعمال.

لاحظ أكيرما بأن ديفيد غير مبتهج كما عادته، فبادر لسؤاله:

- ما بك سيدي؟ أرى أنّ أمراً ما يعكر مزاجك!

- ألم تلاحظ بأن كشيم هذه المرة أكثر هدوءاً من المرات السابقة، يغضب فقط حين لا تسير الأمور وفق ما يريد، وأيضاً لما ينهره ميلس، هل من المعقول أنّه لم يعد يهتمّ بأهالي آكر!

- قد يكون لتأخير مشاهد القتل إلى آخر الفيلم دور في ذلك، فلو قتل أحدهم في البداية لما أكمل كشيم الإشراف على الفيلم، وقد تكون جودته آنذاك كسابقيه فقط ما يزيد الطلب على ما نصنع هي تلك المشاهد الخادشة للحياء، فنحن نعلم أنّنا لا نحسن صناعة الصورة بالشكل الذي يجب أن تكون عليه، وحتى تمثيل تلك الفتاة مشهدها عوض قتلها أسعده.

- نعم، إنّ ذلك الشاب يمتلك طاقات علينا استغلالها، بعد الفيلم سأقربه مني كثيراً، فقد أستفيد من ذكائه في قابل الأيام، وكذلك سأفرض على كشيم تعليمه الإخراج.

- نعم الرأي سيدي.

- هيا فلنخرج الآن.

أطل ديفيد على الساحة والتهليل قد عمّ المكان، فكل أهالي "ونب نويهص" تجتمع في الساحة لتشاهد لأول مرة تصوير فيلم بأسلوب احترافي، كلّ أمر مرتب ولا مجال للفوضى، فقد عاد كشيم لهيئته القديمة نظارته على عينيه، ومكتبه يتوسط الساحة، يقف على عمل كل فرقة من فرق الإشراف على الفيلم ويتتبع كلّ صغيرة وكبيرة، حتى أنّ أهالي "ونب نويهص" كلما رأوا كشيم تسمّرت أعينهم نحوه تراقبه باهتمامٍ شديدٍ.

طلب سليم من أكيرما قبل بدء التصوير أن يعصب الجنود رؤوسهم بعمامة مصنوعة من ثوب براق لأن كل الأضواء ستنطفئ إلا في مكان وضع الكاميرا.

توسط سليم الساحة وصاح:

- فلتطفئوا كلّ الأنوار.

فعلوا ما طلب سليم، تقدم نحوه كشيم وقال بصوتٍ خافتٍ:

- ماذا تقصد ميلس، كيف لنا أن نصور دون إنارة.

- ومن يهتمّ لأمر هذا الفيلم التافه، أرى أنك اندمجت وأخذك الحنين لعملك في آكر.

وقف كشيم محدثاً نفسه: "فعلاً قد صدقت ميلس، أحسست أنّ هذا العمل كأنّني أنجزه في آكر، وجدت نفسي مرتاحاً قليلاً لأنّني أسيره بالأسلوب الذي أردت".

نظر نحو سليم بنظرات متفحصة "وقت طغيان العاطفة تحتاج بجانبك العقلاء، رغم صغر سنه إلا أنه حكيم".

عاد كشيم خلف "كاميرته" وأشار لبدء التصوير.

التحق ريمس بمنصة ديفيد وأكيرما معهما، ظلّ واقفاً يراقب عن كثب كلّ ما يدور بالأسفل، لم يستطع سليم إخباره بشيء لكنّه يحس بخطبٍ ما، الظلام الدامس والجنود تشع العمامات فوق رؤوسهم، وأسهم أهالي آكر رؤوسها براقة، سمع أكيرما يقول لديفيد:

- إنّه منظر رائع سيكون مشهداً ختامياً جميلاً، هي فكرة ميلس فقد أتاني لآمر الجنود ليلبسوا تلك العمامات كي يضفوا على المنظر رونقاً خاصاً، وقد استحسنت أيضاً الفكرة وهو ما تراه الآن سيدي ديفيد.

قام ديفيد من مكانه وجال بعينيه في المكان، استنشق الهواء جيداً:

- إنّه إحساس لم أشعر به منذ زمن، المكان الذي أنا فيه كأنّه ليس "ونب نويهص" التي أعرف، انظر للأهالي وفرحتهم، آه أشعر وكأنني سأنام على حلم وردي أو كابوس أسود.

- بل أرى حلمك يتحقق أمامك، لقد خطوت خطوات كبيرة لما تصبو إليه، كل خططك الناجحة ستثمر أخيراً، إنّ "ونب نويهص" يضرب لها الآن ألف حساب، صارت قائدة عالم الكواليس بلا منازع، أما آكر الآن في الحضيض وستتردى أكثر مستقبلاً، فكشيم هنا، وذاك الشاب الرائع من سانكو، لن يقف من اليوم أحد في طريقك.

- صحيح ما قلت أكيرما، ولكن ماذا بعد ذلك، هزمت كل أعدائي، ربما هذا إحساس نهاية المتعة.

ريمس لا يزال ناظراً أمامه وينصت لما يدور من حوار بينهما، حتى مرّ من أمام عينيه وقوفه على كشيم وهو يرسم..

"إنّ هذا المشهد مطابق لذاك الرسم، ماذا يحدث هنا"

في الأسفل رفع كشيم رأسه فوق الكاميرا وتأمل المنظر "غير معقول إنه الرسم الذي أعطيته لميلس، فيم يفكر؟"

توسط سليم الساحة ومعه إيند، فكما وعدها سيؤخر مشاهدها إلى النهاية، وقفت إيند أمامه بعد أن طرقت الباب لمرة واحدة قبل أن يهرع لفتحه، كان ينتظرها لتقدم عليه.

- انتظرتك كثيراً، أما تدرين أنّني أحتاجك الآن، أريد قبل أن أرحل أن أقضي معك آخر وقتي، قد تقدم فرقة جنود الحق في أية لحظة.

- ولكن يا شيخ ألا يحرم دينك ما تقوم به، ألا يسمى هذا نفاقاً؟

- عن أي دين تتحدثين، الدين هو خدعة ننوّم به الناس، إننا نخدم مصالح أناس عليا فوقي وفوقك، وما نحن إلا خدم مطيعون نكمم أفواهننا لما يغدقون علينا نعمهم، آه كم أنتم ساذجون كلّ الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على الدين لا يفقهون فيه شيئاً، لا يهتمون لمآسي الناس، ولا يعيشون كعيشتهم، أقول لك أمراً في غاية الأهمية، الدعاة الحقيقيون

يعيشون فقراء ويموتون كذلك، لا يغريهم التملك عن قضيتهم الأسمى وهي الدعوة لله.. لكن دعينا من هذا واتركي لحظتنا الجميلة تمر بسلام.

- حسناً يا منافق.

أخذت إيند ارتعاشة غير طبيعية، هي أمام سليم وهل يمكن أن يلمسها.

أطرب الحوار ديفيد وأكيرما، أما ريمس فما يزال لم يعِ جيداً ما يحصل.

بدأ هوكو في تنفيذ ما طلب منه سليم:

- اسمع يا هوكو ستذهب أنت ورجالك إلى مصنع الخمر كما أمرتك سابقاً، لكن المستجد الذي يجب ألا تنساه هو إخراجك لرجل يدعى سرون هو صديق قديم لديفيد، ستجدونه ثملاً في غرفة لم أذكر مكانها لأصفها لك لكن أرضيتها من قوارير الخمر، احذر قبل أن تضرم النار في المصنع تيقن أنه قد خرج فعلاً وباقي من فيه، ابدأ أولاً بالقليل فقط من البنزين، والأكيد سيهرع الجميع خارجاً، وبعدها أريده أسود أفهمت.

انسل بعض رجال هوكو لداخل المصنع بعدما ربطوا أيدي وأرجل حرسه، اختاروا زاوية فسكبوا البنزين فيه، سهّل حصولهم على البنزين أنّ سليم جعلهم في فريق العمل، وطلب من أكيرما أن يوفر لهم كل ما يحتاجون.

وفعلاً ما إن وصل الدخان لأنوف من في المصنع حتى فروا هاربين، بعدها بحث هوكو عن الغرفة طويلاً حتى وجدها مفتوحة، ولم يجد أحداً "ما العمل الآن، لا أحد هنا فهل أنفذ المهمة أم لا، استفرغت جهدي في البحث عنه، لا شك أنه فر أيضاً".

خرج هوكو من الغرفة فطلب من رجاله أن يضرموا النار في المصنع.
كانت الفتيات اللائي قررن مساعدة إيند وسليم يتواجدن بين الساحة والمصنع، وكانت مهمتهن الصراخ حالما رأوا الدخان صاعداً للفت الانتباه.
سليم في صمت ينظر لإيند حتى فاجأهما خروج فرقة جنود الحق من وسط الأهالي، يتقدمهما يمار وإليل، وقد كانوا كلهم من أهالي آكر، وقفت إليل بعيداً عن سليم وإيند بقرابة الثلاثة أمتار، وعيني سليم لم تبتعد عنها، لكن إليل كانت في غير حالتها العادية: "ما بال إليل لم أرَها على هذه الحال من قبل، عينها بها حمرة، أمعقول هل تنوي قتله! يجب أن أمنعها، إنها ترى الآن ما مرّ بها وبآكر وبعالم الكواليس، وسبب كل ذلك على مرمى سهم تنوي أن تغرسه في قلبه، يجب منعها بأية طريقة، خطتي أريدها بلا قتل".
قالت إليل:
- نحن جنود الحق ولن تفلت من العقاب، ستدفع ثمن كل ما قدمت يداك من خطيئة، لو كنت أفسدت حياتك لعفونا عنك، لكنك أفسدت حياة الكل، لن نسامحك أبداً.
نظر كشيم نحو إليل:
- إنها لا تمثل، ولا تنظر حتى لميلس، إنّ نظرها مركز مع ديفيد، أرجو ألا تخرج عن طوعها فما فعل بنا ذلك اللعين يجعل أطيب الناس يتمنى موته".
تململ ديفيد من مكانه:

- راقب الآن النهاية، لن يترك حلفاء الشيخ حليفهم يموت، ستسمع صراخ هؤلاء المساكين الآن وإغماءة كشيم الشهيرة.

اقترب من إليل وجثا على ركبه متوسلاً:

- أرجوكم لا تقتلوني، لقد أخطأت وأرجو أن تغفروا لي صنيعي على ألا أرجع له ثانية.

- لن نغفر لك ستموت الآن.

جبد سليم رداء إليل هامساً:

- إليل نفذي ما قلت لك فقط، لا تدعي الانتقام يقتل جمال روحك، الطيبون يصبرون، وطيبتك لم أرَ لها مثيلاً، ما علمتك آكر لا تنسيه ولا تدعي هؤلاء الحمقى يخرجوك عن طوعك، إذاً لا فرق بينك وبينهم أتوسل إليك لا تقتليه إليل.

دخل رجالٌ متوشحين بالسواد يحملون مسدساتهم، إنّها لحظة قتل فرقة جنود الحق الذين يحملون أقواسهم ومعهم السهام البراقة، كانوا هم أيضاً على استعداد لرمي سليم بسهامهم إن حاول الهرب.

قام ديفيد من مكانه وكذلك أكيرما ليتمعنا جيداً في لحظة إطلاق النار على أهالي آكر وموتهم حقيقة لا تمثيلاً، تلهفا لرؤيتهم ممددين على الأرض غارقين في دمائهم.

وضع الجنود سبابتهم على الزناد وكشيم كاد قلبه يتوقف فهو لا يدري كيف سينقذهم سليم، تصبب العرق من جبينه وهو يراقب ما يجري.

ضغط كل واحد منهم على الزناد، سُمع الصراخ فأغمي على كشيم كعادته.

إنهنَّ الفتيات يصرخن "حريق في مصنع الخمر"، تشتت الانتباه، وهو ما أراده سليم، وكذلك أراد إحراق مصنع السموم ذاك. كلّ الجنود الذين سيهرعون للمصنع سيجدون في انتظارهم هوكو ورجاله.

ذهل ديفيد وأكيرما ومعهما ريمس، لم تخرج الرصاصات من المسدسات، فقد أفرغ سليم المسدسات قبل التصوير، قبل أن ينادي ديفيد متسائلاً عما يحدث اتخذ أهالي آكر شكل الدائرة، البعض منهم صوبوا سهامهم على أرجل الجنود في الساحة، والبقية على أذرع الجنود الذين يرتدون العمامات البراقة، أما إليل فعينها على ديفيد، وقبل أن تطلق سهمها نحوه سمع سليم طلقات نار، أكيرما قد أخرج مسدسه، قام سليم لحماية إليل.

رمت إليل السهم البراق، ديفيد تسمّر في مكانه؛ فقد تفاجأ لما حدث دون أن يخطط للفرار، لم يتأتَّ له ذلك، السهم يراه قادماً نحوه دون أن يتحرك، أصاب السهم التاج فقسمه لنصفين، تهاوى ديفيد ببطء مرتطماً بالأرض، وقد رأى ظلالاً سوداء تخرج من ذاته محلقة بعيداً عنه.

بعد عدة طلقات أحكم ريمس قبضة أكيرما.

ظنت إليل أنّ سليم عانقها فرحاً بنجاح ما خطط له، لكن بوضع يدها على ظهره لمست سائلاً ساخناً على ظهره، إنها الدماء، أصيب برصاصة أكيرما، انفلت من يديها فسقط أرضاً، ارتعدت إليل منادية:

- ميلس هل تسمعني، أجبني أرجوك ميلس.

سعل سليم وقد خرج الدم من فمه:

- هل أصبت الهدف إليل؟

- نعم لقد سقط التاج عن رأسه.

- إذاً ستشرق الشمس كما وعدتك بذلك، لا تهتموا لأمري أمجاد عالم الكواليس سترجع كما كانت وأقوى بكم.

بكت إليل بشدة، مددت سليم أرضاً وقصدت يمار الذي كان يطمئن على كشيم وقد بدأ يستعيد وعيه.

وقفت بقربه فرأى دموعها، لم تمهله كثيراً حتى صرخت في وجهه:

- أسرع إن ميلس قد أصابته رصاصة، لن أسامح نفسي ولن أسامحكم إن مات.

- ماذا تقولين! هيا لنجد طبيباً هنا يداويه.

جلسا بقربه، وضعت إليل رأسه على فخذها، أما هو فلا يزال ناظراً للسماء، رمق نوراً خافتاً منبعثاً منها.

أمسك يمار يده:

- تمالك نفسك ميلس، سنجد من يداويك.

كأنّه لم يسمع يمار، وتمتم:

- ستشرق الشمس عما قريب، إنني أراها قادمة، وذاك النور مرسولها، أتريانه؟

رفعا رأسيهما للسماء فإذا سوادها اختلط باللون الأزرق، وأشعة كالخيوط تنبعث منها.

- فعلاً، هي كذلك إليل هل ترين؟ إنها شمس عالم الكواليس تشرق من جديد!

لم تبتسم إليل ولو مع رؤيتها أشعة الشمس، فقد صمت سليم وكان آخر كلامه ما قال، ململته إليل وهي تصرخ:

- ميلس أجبني أرجوك ميلس، ميلس.

لمس يمار يده:

- للأسف إليل لا نبض في قلبه، قد فارق الحياة.

جحظت عيناها وأطلقت صرخة طويلة سمعها كل من في "ونب نويهص".

اقترب كشيم منها محاولاً تهدئتها، لكنّها لم تهدأ، فقد أحست أنها السبب الرئيس في موته.

أشرقت الشمس فهرع الأهالي للاختباء لكيلا تصلهم أشعتها، دخلوا منازلهم وأقفلوا الأبواب وأسدلوا ستائر نوافذهم.

- اتركيه إليل هذا يكفي، علينا حمله من هنا، ولنستعد للعودة لآكر.

- اتركاني فلن أسامح نفسي على موته، أنا من أتيت به، وأنا من يتحمل مسؤولية ما حدث، ليتني بقيت في "ونب نويهص" حتى أموت في ذلك الدور، أنا نادمة يا ميلس سامحني أرجوك، لا حياة لي بعدك أحياها.

- لا فائدة يا كشيم من إخفاء الحقيقة عنها، أخبرها بكل شيء لترتاح وسأتحدث مع ريمس قليلاً ريثما تهدأ إليل.

- حسناً.

أمسك كشيم يد إليل، وطلب منها أن تنصت له جيداً، هدأت نفسها بصعوبة وارتخت قليلاً، وما زالت جاثية على ركبها قرب سليم، عينها احمرت من البكاء وصوتها بح:

- لن يموت ميلس.

أشاحت ببصرها عن سليم ناظرة نحو كشيم في دهشة:

- ماذا تقصد؟

- إنه ليس من هذا العالم، لم تبدأ حياته هنا، ومن المستحيل أن تنتهي بعالم لم يولد فيه.

- لم أفهم، ماذا يعني هذا؟

- سليم سيعود لعالمه دون الحاجة للذهاب عبر باب عالم الكواليس، بعد يوم سيختفي من هنا ليستقر في عالمه.

- هل أنت جاد فيما تقول، يعني أن ميلس لم يمت!

- صحيح لم يمت.

عانقته، فقال بصوت خافت حزين:

- لقد أخبرني يمار أنك أحببته، ومع الأسف لن يعود للأبد، لأنه مات في عالم الكواليس.

غادر كشيم وإليل ويمار وأهالي آكر "ونب نويهص" صوب آكر بعد أن حضروا محاكمة ديفيد وأكيرما وقد حكما عليهما بالسجن المؤبد، وكذلك لعبهما أدوار المعتوه تأديباً لهما.

تقلّد ريمس رئاسة "ونب نويهص" بدل أبيه ديفيد.

عادت إيند وصديقاتها لقبيلتهن، وكذلك فعل هوكو وكل من أتى إلى "ونب نويهص" مكرهاً هرباً من بؤس الحياة في قبائلهم بعد أن انتهت سطوة ديفيد على عالم الكواليس.

نظرت أسرة سليم لبعضها البعض باستغراب شديد، ونحو سليم الذي لم يحرك ساكناً طوال عرض الفيلم، حتى وصل المشهد الأخير الذي مات فيه، ليتيقن أنه لم يكن حلماً بل واقعاً عاش كلّ تفاصيله.

ذرفَ الدمع الغزير فرحاً بما قدم لعالم الكواليس، وحزناً على أنه لن يستطيع الرجوع لآكر.

في السجن أكيرما وديفيد، الحراسة مشددة عليهما.

استكان ديفيد أخيراً بعد طول مخاض عانى منه، ولو بدا عليه الارتياح في السابق، إلا أنّ فطرته لم تدعه ولو لحظة، وكان ما أخبره سرون الحقيقة التي سعى جاهداً لإخفائها.

أكيرما لم يرضَ بهاته النهاية، ولام ديفيد على عدم تركه قتل كشيم.

فكر ديفيد كثيراً في مخرج ينجو به من سجنه، فالحكم ثقيل، حياته كلها سيقضيها خلف القضبان، وسيسقط من برجه إلى الحضيض، بالرغم من تحرره قليلاً من سطوة نفسه، لن يقبل بمشاهدة الناس يضحكون من أدوار المعتوه التي حكم عليه بها.

الهروب الذي يراه أن تنتهي حياته، ولأنّ الزنزانة لا سكين فيها ولا حبل، فالحل أكيرما، يعرفه جيداً، وطبعه لا يخفى عليه، فسنوات طويلة قضاها معه، وكان بئس الصاحب، لم ينصحه يوماً، ولم يكن عوناً له، بل عوناً للنفس والشيطان عليه، فشتان بينه وبين سرون، أو حتى كشيم الذي عاداه، فما تركا فرصة إلا ونصحاه بالعدول عما يقوم به.

ضحك ديفيد وقال لأكيرما:

- بئس الرجل أنت، كل هذا بسببك، ما كان يجب أن أثق بك.

لم يستوعب أكيرما ما يرمي إليه ديفيد، فتساءل:

- أتقصد ما تقول؟

ساخراً أجابه:

- وإن لم أقصده فلم تفوّهت به! مع كل خبراتك خدعك ذلك الشاب.

- كفاك تجريحاً، أنا وأنت الآن سواء؟ ولماذا لم تأمرني بدفنه حيّاً، وفي الأخير حملتني كامل المسؤولية، يا لك من لعين!

- أنت خادمي المطيع، والأمر لا يخصك، فكيف تعلو العين على الحاجب! أم كيف يفهم الحمار!

حاول أكيرما تمالك نفسه، لكن كلّ عصبه يرتعد، ارتفعت أم عينه، تقدم نحو ديفيد، وبدون مقدمات مد يديه إلى عنقه، خنقه حتى مات، ثمّ انهد على الأرض بجانبه قائلاً وعينه محدقة نحوه:

- نم الآن إلى الأبد، آه عليك اللعنة وعلي.

هرع ريمس إلى الزنزانة، بكى لرؤية جثة أبيه، فقد غيّر كشيم تلك النظرة السوداء تجاهه، حنّ قلبه مشفقاً عليه، انهال بعدها على أكيرما باللكم حتى أفقده الوعي.

في اليوم الموالي حضروا مراسيم الدفن، وما بقي إلا أن يحملوا جثة ديفيد التي وضعوها في غرفته داخل القصر.

لكن لم يجدوا الجثة، بالرغم من تفتيشهم عنها في كل مكان.

تمت بحمد اللّه

رواية
آكر
عبد الرحيم بن المبارك
الطبعة الأولى
1445 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.